

**من ديوان
عباس الجراري**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من ديوان عباس الجراري

الجزء الأول

إعداد وتقديم
محمد حميدة

من ديوان عباس الجزائري

إعداد وتقديم : محمد احميدة

الإيداع القانوني: 2017MO2176

ردمك: 978-9954-28-699-9

الطبعة الأولى : 2017

منشورات النادي الجزائري رقم : 73

الطباعة والإخراج الفني

دار أبي رقرق للطباعة والنشر

10 شارع العلويين رقم 3، حسان - الرباط

الهاتف : 05 37 20 75 83 - الفاكس : 05 37 20 75 89

E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com



تقديم

محمد احميدة¹

عباس الجراري شاعراً! هذا جانب لا يعرفه الكثيرون ممن يتتبعون الإنتاج الفكري والأدبي لعميد الأدب المغربي.

يعرفونه صاحب أبحاث أكاديمية في حقل الدراسات الأدبية المغربية، ودارساً باحثاً في الأدب العربي والفكر الإسلامي، عاشقاً لأدب الملحون. لكن الجراري الشاعر، بقي في الظل، لا يعرفه إلا القلة ممن جالسوه في ناديه الأدبي، أو أتاحت لهم فرصة الاستماع إلى قصيده، حينما يتوسل بالشعر في بعض المناسبات، مساجلاً أو مغازلاً أو راثياً عزيزاً....

هل يعتبر الأمر غريباً أن يلج عباس الجراري بيت الشعراء؟

كيف يكون كذلك، والمتبعون للحركة الثقافية في المغرب، والباحثون في أدبنا المغربي داخل جامعاتنا، يعرفون مصاحبة الأستاذ الجراري الطويلة، للشعر العربي في المشرق والمغرب، قديمه وحديثه، معربه وملحونه، قارئاً ودارساً ومشرفاً مؤطراً للعديد من الرسائل والأطاريح الجامعية، التي اتخذت من الشعر العربي، حقلاً للدراسة والبحث.

هذا الاهتمام بالشعر، سيشكل في حقيقة الأمر، أرضية ملائمة، تسعف الجراري على نظم القريض. وما كان لتسعفه العبارة الشعرية، لولا وجود ذلك

(1) أستاذ بكلية الآداب، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، تقاعد سنة 2013.

الاستعداد الفطري الذي يسمح بانبثاق الرغبة في التعبير شعراً عما لا يستطيع المنثور من الكلام استيعابه.

قد يقول قائل: إننا نتابع أبحاث وكتابات عباس الجراري منذ ما يقرب من نصف قرن، فما عرفناه شاعراً؟ قد يكون الأمر طارئاً، ولم تتفتق شاعريته إلا في مرحلة متأخرة؟

ليس الأمر كذلك، فبالعودة إلى سنوات الستين من القرن العشرين، سنجد أن عباس الجراري قد نشر قصيدة في مجلة «دعوة الحق» بعنوان «أصحيح مات حبي؟»⁽¹⁾.

قد يعترض معترض بالقول: وماذا بعد قصيدة «أصحيح مات حبي؟» لا يعرف المتتبع أي كتابة شعرية للجراري بعد هذا التاريخ!

لم يكن الأستاذ عباس الجراري يرغب في الاصطفاف مع الشعراء وكفأ، تواضعاً، مُتَبَرِّياً بالأساس إلى البحث الأكاديمي في المجالات المشار إليها سابقاً. هذا الانكفاء نجد الإشارة إليه في إحدى قصائده مساجلا الشاعر مصطفى الشليح حيث قال⁽²⁾:

(1) كان لهذه القصيدة، بعد نشرها، صدى في الساحة الأدبية المغربية، حيث كتب الشاعر المغربي أحمد بن مسعود الهدري - وهو صديق للجراري من مدينة الصويرة - قصيدة بنفس عنوان القصيدة الجرارية «أصحيح مات حبي»، نشرت في مجلة «دعوة الحق»، ع، يناير 1963، ومهد لها بكلمة، مما جاء فيها: «صديقي الأستاذ عباس الجراري، لقد بعثت في نفسي، كلماتك الساحرة، أحلام ماض جميل، مازلت أتمثله رغم طول المدى وبعد المزار..... فأليك صديقي تحية كريمة، من حليف شوق في الصويرة، إلى حليف هوى عنيف في القاهرة».

(2) انظر المساجلة كاملة في كتاب «من تاريخ الأندلس الأدبية في المغرب: النادي الجراري بالرباط لمؤسسه العلامة عبد الله الجراري»، محمد احميدة، صص، 192-198، منشورات النادي الجراري رقم 28، ط، 1، 2004.

وَأَنْتِ يَا شَاعِرَ السَّلْوَانِ هَلْ تَدْرِي بَأَنَّ صَوْنَعَكَ لِلْإِبْدَاعِ لِي يُعْرِي
 قَدْ حَزَّكَ الشُّجُو إِذْ جَاشَتْ حَوَاطِرُهُ جَزِيًّا عَلَى عَادَتِي بِالْهَمْسِ أَوْ جَهْرٍ
 يَأْتِينِي طَوْعًا فَلَا أَعْنُو لَهُ نَصَبًا بِالرِّفْقِ مُنْتَظِمًا يَسْمُو بِلَا فُخْرٍ
 وَلَمْ أَكُنْ أَبْدَأُ بِالشَّعْرِ مُحْتَفِلًا وَلَا قَصَدْتُ بِهِ لِحْمِرٍ أَوْ بَكْرٍ
 وَلَا سَعَيْتُ بِهِ أَرْجُو أَلْوُصُولَ وَلَا أَحْتَاجُهُ إِذْ أَرَى قَدْ حَظَّنِي قَدْرِي

لم يكن الشاعر الجرامي محتفلا بالقول الشعري، ولم يتخذة مطية لتحقيق مآرب، ولكن في نفس الآن لا يخفي أن الدفع الشعري «يأتيه طوعاً» و«لا يعنو له نصباً». إذاً، إذا كان النظم طوع يمينه، فالراجح أن كتابته على مدى عقود، تشكل ديواناً كبيراً. من يعرف للأستاذ عباس الجرامي ديواناً شعرياً؟

لنقم بإطالة على موقعه الإلكتروني www.AbbesJirari.com، هنا نجد صفحة دونت فيها كتابات الأستاذ عباس الجرامي التي ما تزال مخطوطة، ومن بينها: ديوان «مع حَيِّ ورضاي» ويضم الأشعار التي وجهها لأولاده، وعنوان آخر هو «أشواق» ويضم رسائل الكاتب وأشعاره إلى زوجته. وإلى جانب هذه الأشعار هناك قصائد ومقطعات أخرى - لا تتم الإشارة إليها - تشكل بدورها ديواناً مستقلاً، يتمثل في نصوص إخوانية وأخرى ساجل من خلالها بعض أصدقائه، وهذه الأشعار تمثل قدراً غير يسير من إنتاج الشاعر.

يبدو الآن واضحاً، أن غياب الإنتاج الشعري لعميد الأدب المغربي، ناتج عن عدم قيام الشاعر الجرامي بنشر دواوينه.

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أنه في العديد من المناسبات التي كان الجراي ينشد فيها أشعاره، وبعضها كان يتم في مجالسه الأدبية التي تنعقد كل يوم جمعة، كان بعض جلّاسه من الأدباء، يحثه على نشر هذه الأشعار، غير أن الأمر لم يتحقق.

وتأتي سنة 2016 وبالضبط في شهر يونيو، ليخبرني أستاذي عباس الجراي بعزمه على نشر أشعاره. كيف تم اتخاذ هذا القرار؟ وما الذي جد ليتحفز الشاعر لإظهار إنتاجه الشعري وطبعه ليضعه بين أيدي الدارسين والباحثين المهتمين بالشعر المغربي.

في جلسة خاصة مع أستاذنا، علمت أن الأستاذة حميدة الصايغ الجراي، حرم الدكتور عباس، كانت وراء هذا القرار. فطالما أحت على إخراج بعض كتابات العميد التي كانت مؤجلة، منها الكلمات التقديمية التي كتبها للعديد من الرسائل والأطاريح الجامعية وبعض الدراسات والدواوين، حيث انبرت الأستاذة حميدة الصايغ إلى جمع بعضها في كتاب حمل عنوان «كلمات تقديم»⁽¹⁾ صدرت منه خمسة أجزاء، ووضعت لكل جزء تقديمًا. وبنفس الحرص سبق للأستاذة حميدة أن عملت على جمع الدروس الحسنية مع وضع تقديم لها⁽²⁾.

امتد هذا الحرص إلى أشعار عباس الجراي، خاصة وأن رفيقة دربه على اطلاع كامل بما كان يكتبه الشاعر، فكان إلحاحها يرداد مع مرور الزمن لإخراج هذا

(1) صدر ضمن منشورات النادي الجراي، حمل الجزء الأول رقم 34، ونشر سنة 2006 وحمل الجزء الخامس رقم 70 ونشر سنة 2016، وضم هذا الجزء إلى جانب تقديم الأستاذة حميدة الصايغ، تصديراً للأستاذ محمد اليملاحي، عبارة عن دراسة تحليلية للتقديمات.

(2) دروس حسنية، عباس الجراي، جمع وتقديم حميدة الصايغ الجراي، منشورات النادي الجراي، رقم 64، ط، 1، 2015.

الإنتاج الشعري من منطقة الظل، ليوضع بين أيدي الباحثين والمهتمين بأدبنا المغربي، وللكشف عن جانب من اهتمامات الجراري الأدبية، ظل مغموراً.

ولما كنت مهتماً بالتأريخ للنادي الجراري⁽¹⁾، ومن الذين واطبوا على حضور مجالسه الأدبية على امتداد ثلاثة وثلاثين عاماً، فقد أتاحت مجالسة عميد الأدب المغربي، التعرف عن بعض إنتاجه الشعري، مما كان ينشده في هذا المجلس الأدبي، بين الحين والآخر، إلى جانب ما ألقاه في بعض المناسبات خارجه، بالإضافة إلى ما مدّني به أستاذه - مشكوراً - حينما كنت بصدد إنجاز كتابي « شعراء النادي الجراري: الشاعر والنص »؛ حتى إذا بادر المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية (كرسي الأدب المغربي)، بكلية الآداب، ظهر المهرز، فاس، إلى إعداد كتاب علمي تكريمي واحتفاءً بمناسبة الذكرى الثمانين لميلاد عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري⁽²⁾، بدا لي أن المناسبة سانحة للالتفات إلى هذا الجانب من الكتابة الجرارية، نلقي عليها بعض الضوء، ونكشف عن جانب لا يعرفه الكثيرون عن مفكر وأكاديمي أصيل، أغنت دراساته وأعماله الفكرية الساحة المغربية والعربية الإسلامية، ثم ارتأيت أن يكون تقديماً لهذه المقطعات⁽³⁾.

(1) كتبت عن النادي الجراري ثلاثة مصنفات: من تاريخ الأندية الأدبية في المغرب: النادي الجراري لمؤسسه عبد الله الجراري، صدر ضمن منشورات النادي الجراري تحت عدد 28، طبع سنة 2004، وحركية النادي الجراري خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، صدر ضمن نفس المنشورات تحت عدد 41، طبع سنة 2008، ثم كتاب « شعراء النادي الجراري: الشاعر والنص » صدر ضمن منشورات النادي الجراري تحت عدد 66، طبع سنة 2015.

(2) صدر هذا الكتاب تحت عنوان « جهود الأستاذ الدكتور عباس الجراري في إثراء التنمية الثقافية المستديمة »، تنسيق الدكتور عبد الله بنصر العلوي، 2017.

(3) نشرت هذه الكتابة ضمن الكتاب التكريمي تحت عنوان « عباس الجراري شاعراً » بتعديل طفيف.

للكتابة في هذا الموضوع، لا بد من توفر المادة الشعرية التي تشكل المتن الذي سيتم الاشتغال به. أطلعت الأستاذ عباس الجراري على رغبتني في الكتابة في هذا المجال، رحّب ووعدني بمُدّي بالمطلوب، لكن طموحي ازداد بعد هذا التجاوب، لتمتد هذه الرغبة إلى إخراج ديوان عباس الجراري⁽¹⁾، وكنت أسعى من وراء ذلك إلى تحقيق أمنية الأستاذة حميدة الصايغ الجراري، حرم العميد التي طالما عبرت عنها وألحت في طلب تحقيقها، ثم إخراج هذا الديوان ليوضع بين أيدي الباحثين والدارسين المهتمين، ذلك أن تناول شعر الجراري - حينما يصدر ضمن ديوان - يسمح بإلقاء الضوء على جانب مغمور، تسعف دراسته في استكمال ملامح الشخصية الأدبية والفكرية لعميد الأدب المغربي؛ خاصة وأن شعره يتيح للدارس مداخل متعددة لتناوله وبمناهج متباينة.

بين يدي الآن مجموع شعري للأستاذ عباس الجراري، يقترح له صاحبه أحد العنوانين:

الأول: «مقتطفات من ديوان شعر عباس الجراري».

الثاني: شعر عباس الجراري: مقتطفات من دواوينه:

وفي الأخير ارتأى الشاعر أن يخرج شعره مُنجمًا، يضم الجزء الأول مقتطفات من أشعاره التي قالها في زوجته «حميدة» وضعها تحت عنوان «أشواق»، ثم مقتطفات من أشعاره إلى أولاده وسم أضمومتها بـ«مع حُبي ورضائي» ليختم هذا الجزء بمقتطفات من إخوانياته، ويفرد بعد ذلك جزءاً ثانياً خصصه للمساجلات التي دارت بينه وبين بعض الشعراء.

(1) اختار الشاعر عباس الجراري عنوان «من ديوان عباس الجراري» مما يفيد انه لا يمثل سوى جزء مما قصّده.

وأول ملاحظة يمكن تسجيلها على هذا المجموع الشعري الذي نضعه بين أيدي الباحثين والمهتمين، هي أنه لا يشكل سوى جزء من أشعار الجارري، وليست أعماله الشعرية برمتها، وبالتالي فإن ما يمكن أن يخلص إليه الباحث من نتائج لن تكون سوى استنتاجات جزئية وأولية.

ورغم أن هذا المجموع لا يضم كل أشعار الجارري، فإنه يدل على أن الكتابة الشعرية لم تكن غائبة عن اهتمامات عميد الأدب المغربي منذ البدايات وأنه كان يفسح لأحاسيسه وعواطفه ليأخذ التعبير عنها قالبا شعريا، كما أن النظر إلى المدى الزمني الذي تتحرك فيه أشعار الشاعر، تدل على أن عباس الجارري قد تفتقت قريحته الشعرية منذ زمن بعيد، فما بأيدينا يسجل نشاطاً شعرياً يمتد على مدى نصف قرن ونيف. وهنا يطرح سؤال: هل كانت قصيدة «أصحيح مات حيي» التي نشرها الشاعر في مجلة دعوة الحق في دجنبر 1962 هي أول ما قصده؟

لا أعتقد أن الأمر كذلك، بل يبدو أن الجارري تمرس بالكتابة الشعرية قبل هذا التاريخ، وأن النص المنشور يشكل مرحلة متقدمة في الممارسة الشعرية، خاصة وأن هذه القصيدة، كتبت خارج النمط الخليلي المألوف⁽¹⁾.

وسيتأكد هذا الأمر حينما أخبرني الشاعر - في جلسة خاصة - أنه كتب محاولاته الشعرية الأولى، وهو ما يزال تلميذاً في ثانوية مولاي يوسف بمدينة الرباط، وكان والده العلامة عبد الله الجارري رحمه الله، يتعهد تجربة التلميذ ويراجعها، وهي كما وصفها الشاعر «كتابة ذات طابع مدرسي»، من ثم فإنه لا يعدها إنتاجاً شعرياً يستحق النشر.

(1) يمكن الاطلاع على هذا النص في مجلة دعوة الحق، في العدد المشار إليه، وفي كتاب «شعراء النادي الجارري: الشاعر والنص»، ص. 118.

وأطلعني الأستاذ عباس الجراري على أمر آخر، يثبت ممارسته لكتابة الشعر قبل سنوات الستين، ففي منتصف سنوات الخمسين، رحل إلى مصر لاستكمال دراسته، وكان ذلك صيف سنة 1956، وصادف وصوله إلى بلاد الكنانة، العدوان الثلاثي على مصر. كان لهذا الحدث وقعه في نفس الشاعر، وخاصة ما حدث في «بور سعيد»، ليتجلى تفاعله مع هذه الأحداث في أشعار دون من خلالها هذه التجربة. وحينما سألت الشاعر: أين هذه الأشعار؟ جاء جوابه حاسماً: « لقد تعمدت حجبها» !

لماذا تحجب أشعار تسجل تجاوب شاعر مغربي مع دولة عربية شقيقة، تعرضت لعدوان غاشم، ولم يمر على ثورتها سوى أربع سنوات؟ أشعار تجسد ما تغنى به الشاعر العربي قائلًا⁽¹⁾:

بلاد العُرب أوطاني من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يَمِنٍ إلى مصر فتطوان

يتضح مما سبق أن تاريخ كتابة الشعر عند الجراري يعود إلى فترة سابقة بكثير على تاريخ نشر قصيدته «أصحيح مات حيي»، بل إن المجموع الشعري الذي بين أيدينا يتضمن بدوره ما كتب قبل 1962 تاريخ نشر القصيدة المشار إليها، وبتحديد أدق فإن أقدم نص ضمن هذا المجموع هو قصيدة «هجران» التي كُتبت في القاهرة بتاريخ 19 أكتوبر 1960 وتمثل - مع نصوص أخرى - نماذج للمرحلة المبكرة في الممارسة الشعرية، والجراري عهدئذ، ما يزال طالباً في كلية الآداب بجامعة القاهرة، لم يتجاوز عمره الثالثة والعشرين. وجاءت قصيدة «هجران» محملة بمشاعر الحب تجاه

(1) هذا النشيد للشاعر السوري فخري البارودي، (ت 1966).

حميدة»⁽¹⁾ التي كانت يومئذ هي الأخرى طالبة بجامعة القاهرة، فخطبها الشاعر بقوله⁽²⁾:

دَعَيْني حَمِيدَتِي مِن ذَا الضِيَاءِ ضِيَاءِ أَنْارِ بِأَمْسِيِ البَسِيمِ
دَعَيْني فَنَفْسِي بِهَا ظَلَمَةٌ وَقَلْبِي وَرُوحِي أَحْبَابُ الظَّلَامِ

دَعَيْني فَمَي رَأْسِنَا دَكْرِيَاتٍ عَنِ الحَبِّ فِي الرَّجْعِ مِثْلِ الأَيْسِ
لَعَلَّ تَذَكُّرَهَا خَلْوَةٌ يُنْقَسُ عَمَّا بِقَلْبِي دَفِينِ

إلى أن يقول:

أَهَذَا إِذْ تُ حُبُّنَا، حَخْرِي أَهَذَا الَّذِي فَاقَ حَزَّ اللَّهِيبِ
أَهَذَا الَّذِي قَدْ لَعُونَا بِهِ أَهَذَا الَّذِي دَكَّ أَفْقاً رَهَيْبِ
أَهَذَا الَّذِي قَدْ مَدَدْتُ لَهُ يَدَيَّ وَوَطَّدْتُ فِيهِ غَدِي
أَهَذَا الَّذِي قَدْ نَثَرْتُ لَهُ زُهوراً بِقَلْبِي وَقُلْتُ: أَشْهَدِي

أما أحدث نص في المجموع المشار إليه فقد كتب بتاريخ 16 أبريل 2016، ويمثل نموذجاً من شعر المساجلات، وقد أنشأه الشاعر مساجلاً مصطفى طوبى⁽³⁾

(1) حرم الدكتور عباس الجراري.

(2) «أشواق»، عباس الجراري، نسخة مخطوطة، الخزانة العباسية، الرباط.

(3) أستاذ جامعي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، والنص المشار إليه مدرج في قسم المساجلات.

الذي أهدها ديوانه الموسوم بـ«مسافات لبلوغ الفجر»⁽¹⁾، تضمن قصيدة ميمية موجهة للجراري بعنوان «معلقة القدس»، مطلعها:

الشَّعْرُ فَأَضَ عَلَيَّ الْوَجْدَانِ مُحْتَشِمًا وَالْبَدْرُ هَلَّ عَلَيَّ الْأَشْرَافِ مُنْتَسِمًا

ويبدو جلياً، أن مصاحبة عباس الجراري للقريض إبداعاً، امتدت على مدى زمني غير قصير. لكن تأمل المجموع الشعري الذي حصلنا عليه، يستدعي الملاحظة التالية:

إن الفترة الزمنية التي تمتد ما بين سنوات الستين من القرن العشرين والعقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين، والتي توطر الإنتاج الشعري الذي وقفنا عليه، لا تشكل سلسلة متماسكة من البداية إلى النهاية، تسهم في رسم خط واضح للتطور الشعري عند عباس الجراري. فعبّر هذا الامتداد الزمني، هناك فراغات وثغرات تمتد أحياناً لتغطي سنوات عديدة. فهل يمكن القول إن الشاعر الجراري لم يكن مواظباً على كتابة الشعر، وأن هذه الكتابة كانت تدخل بين الحين والآخر مرحلة كمن؟

يصعب الجزم بهذا الأمر، مع غياب المتن الكامل لشعر الشاعر. وأميل إلى القول أن ما مدّني به الأستاذ عباس الجراري من أشعاره، لا يعدو أن يكون بعض ما كتبه، يدفعني إلى هذا الترجيح دليل مادي يفصح عنه العنوان الذي يقترحه لديوانه وهو من ديوان عباس الجراري، مقتطفات من «أشواق»، «مع حبي ورضائي»، و«الإخوانيات والمساجلات» حيث كلمتا «من ديوان» و«مقتطفات» توحيان بالتبعيض والانتقاء، ودليل آخر يتمثل في تلك الفراغات التي تستوقف قارئ

(1) طبع سنة 2015.

هذا المجموع الشعري، وهي ثغرات تتخلل مسيرة الشاعر، وتتسع في الزمان لتغطي عقدين من الزمن، رسمت بياضاً فسيحاً في مساحة التجربة الشعرية الجراحية. فهل يمكن الاستناد إلى غياب نصوص عبر فترة زمنية، للقطع بتوقف الشاعر عن كتابة القريض؟

يخامرني شك كبير في هذا الأمر، والراجح عندي أنه قد تم حجب بعض أشعار الجاردي عن مجال التداول، لأسباب لا تسعف المعطيات المتوفرة لدي في التعرف عليها. وبعد جلسة خاصة مع الشاعر حول هذا الموضوع، أخبرني خلالها بتوقفه عن كتابة الشعر في فترة معينة. وحينما سألته: متى كان ذلك؟ قال: لقد كان انكبابي على البحث الجامعي وإعدادي رسالة الماجستير وأطروحة الدكتوراه قد أخذ مني الكثير، وتركز كل اهتمامي على البحث، ومن ثم الانصراف عن الشعر، ثم استمر هذا التوقف حينما أسندت إلى الشاعر عدة مهام سامية تتطلب التفرغ لها بشكل كامل.

لذا سيكون حديثي عن عباس الجاردي الشاعر، مستنداً إلى ما توافر من أشعاره، بل ستكون هذه الكتابة، تقريباً لهذا المتن إلى القارئ، وهي إلى الوصف أقرب منها إلى الدراسة.

وارتكازاً على أن ما بيدي من شعر الجاردي هو مقتطفات من دواوينه الثلاثة: «أشواق» و«مع حبي ورضائي» وديوان «الإخوانيات والمساجلات»، يمكن بسط ملامح من التجربة الشعرية لعباس الجاردي ليس غير، وهي تجربة تضيء جانباً آخر من اهتمامات هذا المفكر الأصيل.

فديوان «أشواق» خصصه الشاعر الجاردي برمته لزوجته «حميدة»، فما قصّد في سواها، مما يدل على عمق العلاقة العاطفية التي جمعت بين الشاعر

وزوجته، فقد محضها الحب كله، ولها وحدها وهذا الوفاء الكبير نجد التعبير عنه
طى بعض قصائده على غرار ما نقرأ في قصيدته الرائية⁽¹⁾:

إِنِّي خَصَّصْتُهَا بِالْهَوَىٰ وَحَضَّنْتُهَا
إِنِّي أَرَاهُ كَحَزْمَةٍ مَّخْفُوظَةٍ وَمَصُونَةٍ، لَا قَاطِعَ غَدَاؤِ

ويلفت النظر في «أشواق» استمرارية التعبير الشعري عن هذه العلاقة
الحميمية على مدى عقود من الزمن، وكأن هذا الحب الذي جمع بين عباس وحميدة،
يتجدد أواره مع مرور الزمن، قال يخاطب «حميدة» في ذكرى زواجهما⁽²⁾:

ذَكَرْتُ الْقِرَانَ قِرَانًا يَسْتَجِدُّ بِهِ
عَشْقُ الصَّبَابَةِ جَدْوَانًا تُغَدِّيهِ
عَهْدٌ عَلَىٰ مُدَدِ الزَّمَانِ مُوْتَقًّى
وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّا لَا نُجَافِيهِ

ومع مر تلك العقود على هذه الرابطة النبيلة، قد يحيم الشك حيناً على
استمرارية هذا الحب بنفس الدرجة والحرارة، فنسأل «حميدة»، ويجيب العباس
الشاعر⁽³⁾:

فَأَجَبْتُهَا وَالْبَشْرُ يَخْفِقُ بِأَسْمَاءِ:
بَلْ هُوَ عِنْدَكَ قَدْ أَقَامَ وَإِنَّهُ
لَا تَعْجَبِي مِنْ ذِي السِّنِينَ يَعِيشُهَا
فِي جَدْوَةٍ لَا تَنْطَفِي وَهَيْبِهَا
لَا تَجْزَعِي هُوَ فِي الشَّغَافِ وَلَمْ يَزَلْ
فِي الْقَلْبِ مِنَّا لَا يُغَادِرُهُ الْأَمَلُ
وَالسَّعْدُ يَمْلَأُهَا تُغَدِّيهِ الشُّعْلُ
أَبْدًا يَزِيدُ بِلَا كَلَالٍ أَوْ مَلْ

(1) «أشواق»، مخطوط في الخزانة العباسية.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

ولم يقتصر التعبير عن العلاقة العاطفية النبيلة التي تجمع الشاعر بزوجته «حميدة»، على القول وفق النمط الخليلي في التعبير الشعري، بل انزاح إلى إظهار مشاعره تجاه «حميدة» على إيقاع الشعر التفعيلي كما دون ذلك في قصيده الذي حمل عنوان «حميدتي» قال (1):

وَجَاءَ الْعَيْدُ ... عَيْدُكَ ... عَيْدُ مِيلَادِ حُبِّنَا الْكَبِيرِ
وَمَعَهُ حَلٌّ عَيْدٍ آخَرَ ... تَوَجَّحَ الشَّمْسُ الْأَبْرُكُ
طَرَقَ الْبَابَ هَذَا الْعَيْدِ وَذَاكَ
فَلَمْ يُجِبْ غَيْرَ دَمْعٍ مُزْمِنٍ حَزِينٍ
لَقَدْ غَامَتِ السَّمَاءُ ... وَلَمْ تُشْرِقِ الشَّمْسُ
وَبَدَأَ وَجْهُ الْحَيَاةِ شَاحِبًا لَا نُصْرَةَ فِيهِ وَلَا بَهَاءَ
وَعَدَا الْمِنْظَارُ لَا يَكْشِفُ غَيْرَ الْقَتَامَةِ وَالْكَابَةِ وَالظُّلْمَةَ
مَاءُ الْعَيْنِ لَا يَجْفُ وَهَيْبُ الصَّدْرِ يَحْرِقُ
مَا أَحْرَّ الشَّقْوَكَ إِلَى نَبْعِ الْحُبِّ الصَّافِي يَسْقِي سُلَافَ الْحَيَاةِ
لَتَنْبَعِثَ الرُّوحُ
وَيَنْسِمَ الْكَوْنُ
وَيُشْرِقَ النَّوْرُ
وَيَسْعَدَ الْقَلْبَانَ

(1) نفسه.

فِي ظِلِّ حُبِّكَ

وَفِيَّ أَمْنِكَ

وَسَعَةِ صَدْرِكَ

وَصَدْحِ لَحْنِكَ

وَرَوْضِهِ ذِكْرِيَاتِكَ

وَشُعَاعِ الْأَفُقِ الْبَعِيدِ ... أَسِيرُ نَحْوَهُ مَعَكَ.

هذا التنوع في أساليب التعبير، تجسيد لعمق مشاعر الجراي، وإظهار لحيته الراضخ لزوجته «حميدة»؛ من ثم راح يغني هذا الحب، بنمط تعبيرى يحتل في وجدانه مكانة لا تسامى، فصاغ مشاعره في قالب زجلي رفيع، حين بدا له أن الملحون من القول، يكون أحياناً أبلغ في الإبانة، مما لا يستطيع المغرب منه إليها سبيلاً؛ خاصة وأنا نعم شغوف الشاعر في هذا المجال، وتذوقه الرفيع لشعر الملحون، دون أن ننسى أن رفيقة دربه «حميدة» عاشقة بدورها لهذا الفن من القول، وقد يتسلل إلى وجدانها «لكلام»⁽¹⁾ العباسي بيسر أكبر وبتأثير أقوى، فخصها الشاعر بهذا البوح وقال⁽²⁾:

انْتِ حُبِّي وَخِيَاتِي وَثُرِيَّةَ دَارِي

وَضِي عَيْنِي وَكُلَّ زَيْنٍ لَهَا الْوَارِي

وَاللِّي أَفْنَيْتَ فِيهَا عَمْرِي ابْعَشْتِي وَأَشْعَارِي

(1) «لكلام»، من المصطلحات التي تطلق على فن الزجل. انظر كتاب الزجل في المغرب: القصيدة، عباس الجراي، ص58.

(2) «أشواق».

لُوصَافَكَ رَانِي مَمْلُوكِ أُوْكَادِيَا اِجْمَارِي
وَاحْتَدت رِيِّي اِفْكُل حِين فَذْكَارِي
بِالِّي اَكْرَمْنِي اِبْدُرَّة لَبْكَاز دَارَةُ لَقَمَارِ
لِكَ نَتَمَّتِي عَيْدِ اسْعِيدِ ابْغَزَفِ اُوْتَارِي
اُو مَا عَنَّتْ عَلِّ لَدُوَاخِ سَائِرِ لَطِيَّارِ
نَدْعِي لِكَ بِالصَحْحَا وَازْوَالِ لَكْدَارِ
وَيُدُومُ حُبْنَا زَاهِي يَانَعُ لَزْهَارِ

هكذا يقدم «أشواق» للشاعر عباس الجراري نموذجاً لتجربة وجدانية متميزة، خصص لها ديواناً كاملاً، فكانت أشعار «أشواق» برمتها متعلقة بامرأة واحدة ووحيدة هي «حميدة» زوجة الشاعر، وقليل أولئك الشعراء الذين نحوا هذا المنحى في الكتابة عن زوجاتهم شعراً، مع استمرارية هذا الحضور الشعري وامتداد التجربة إلى عقود من الزمن.

وإلى جانب هذه الأشواق التي صاغها الجراري شعراً لزوجته «حميدة»، نجد كتابته الشعرية تمتد إلى مجال آخر يرتبط بأبنائه، وهو الأمر الذي تمثله أشعاره التي جمعها ضمن ديوان «مع حَيِّ ورضاي» وهو كسابقه، ما يزال مخطوطاً في الخزانة العباسية.

ويبدو أن ما أمدني به الشاعر من نصوص، لا يمثل سوى جزء من الديوان الكامل، ويظهر هذا الأمر من خلال العنوان الذي يشير إلى أن هذه النصوص التي بين أيدينا، لا تعدو أن تكون سوى مقتطفات من ديوان «مع حَيِّ ورضاي».

ويلاحظ، أن «ألوف» كبرى بناته، قد حظيت بالعدد الأوفر من هذا الشعر. فقد كانت الأولى ممن غادر الوطن من أبنائه لإكمال الدراسة⁽¹⁾.

لقد كان سفر الأبناء لاستكمال دراستهم، حافزاً للشاعر لمخاطبتهم قصيداً، وهو قصيد جاء محملاً بمشاعر الأبوة الصادقة، مشاعر الألم من فراق الأبناء وبعدهم عن الديار، والرغبة في فسح المجال لهم للتزود بالمعرفة والارتقاء إلى الدرجات العلمية العليا. وللتغلب على ألم البعد والفراق، توسل الأب بالكلمة الشعرية لنسج روابط التواصل مع أبنائه، فكان يغتم بعض المناسبات ليخط مشاعره قريضاً، ويغزير المسافات عبر محور الشعر، كأن تكون المناسبة إخباراً بنجاح، أو ذكرى ميلاد، إلى غير ذلك، على غرار ما نجده في قصيدته الدالية التي خاطب من خلالها ابنته «ألوف»، وهي تحتفل بذكرى عيد ميلادها بديار الغربية، قال⁽²⁾:

هل سُلُوْ وَفِي جُفُوْنِي سُهْدُ وَهَيْبُ الْغِيَابِ فِي الْقَلْبِ وَقُدُ
خَمْسَةٌ⁽³⁾ قَدْ مَضَتْ وَفِي كُلِّ عَامٍ مِنْ بَعَادِ الْحَبِيْبِ هَوْلٌ أَشَدُّ
إِنَّ ذِكْرَائِي يَا أَلُوْفَ أَضَاءَتْ مِثْلَ شَمْسِ الصُّحَى إِذَا هِيَ تَبْدُو
بَلْ هِيَ الشَّمْسُ أَنْتِ فِيهَا شُعَاعٌ دَائِمٌ وَالسِّنُّونُ تَمِشِي وَتَعْدُو

(1) كان ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، بجامعة بنسلفانيا. والتحقّت «علا» بجامعة «لافال» بكندا، وكانت بصدد تهييء الدكتوراه في مجال التجارة والتسيير، قبل أن يختارها الله إلى جواره يوم 24 يناير 1993 وهي في ديار الغربية، ونقل جثمانها إلى المغرب ليوارى بمقبرة الشهداء بالرباط يوم 27 يناير 1993. تغمدها الله بواسع رحمته. أما محمد ابن الشاعر فقد تابع دراسته بجامعة «إدينبورو» بولاية «بنسلفانيا»، ثم في جامعة «لامار» بولاية «تكساس»، فجامعة «كنت» بولاية «أوهايو». وفي أواخر سنوات التسعين التحقت «ريم» بجامعة «بوسطن» لمتابعة الدراسة في مجال «التواصل».

(2) «مع حبيّ ورضاي»، عباس الجراري، مخطوط بالخزانة العباسية.

(3) إشارة إلى أن غياب «ألوف» عن المغرب للدراسة في الولايات المتحدة دام خمس سنوات.

زَهْرَةٌ أَنْتِ لِلْحَيَاةِ وَعِطْرٌ دُونَهُ الطَّيِّبَاتِ نَدٌ وَوَرْدٌ
حُمْنَا أَنْتِ فِي هِنَاءٍ وَقُرْبٍ هَلْ لِهَذَا الْغِيَابِ وَقُفٌّ وَحَدٌّ؟
مَطْلَبُ الْعِلْمِ أَنْتِ فِيهِ مِثَالٌ وَكَذَا الْحَزْمُ وَالثَّقَى ثُمَّ جِدُّ
إِنْ تَكُنْ غُرْبَةً التَّعَلُّمِ طَالَتْ مُرْهَا فِي الْقَرِيبِ حُلُوٌّ وَشَهْدُ

وبنفس الإحساس خاطب ابنته «عُلا». ذلك ما تنطق به تلك الأبيات التي وجهها إليها، حينما كانت تتابع دراستها في المعهد العالي للتجارة وإدارة المقاولات ISCAE بالدار البيضاء. ورغم أن المسافة الجغرافية بين الشاعر وابنته لم تكن كبيرة، إلا أنها من الناحية النفسية، تقاس بالأميال العديدة. هذا الغياب والبعد عن الدار، يضغط على أحاسيس الأب الشاعر، ليجد لها متنفساً في القول الشعري، فيخاطب «عُلا» بمقطوعة عنوانها «عُلا ابنتي» قال (1):

عُلَايَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا طَلَعَتْ بِهِ وَمَا زَانَ كُلَّ الْعَالَمِينَ هِيَ الْأَبْهَى
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ تَبَدَّى جَمَاهَا وَمِنْ كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ هِيَ الْأَعْلَى
وَمِنْ كُلِّ مَا رَأَتْ الْعُيُوتُ وَمَا أُنْجَلَى وَمَا هُوَ خَافٍ قَدْ يَرَادُ هِيَ الْأَعْلَى
فَمِنْ حُسْنِهَا قَدْ فَرِحَ الْحُسْنُ فِي الْوَرَى وَفِي مَوَكِبِ الْإِشْرَاقِ دَوْمًا هِيَ الْأَسَى
أَنْشَتْ بِهَا فِي الْقُرْبِ تَرْتَعُ نَارَةٌ وَأُخْرَى عَلَى كُتُبِ الْمَعَارِفِ لَا تَسْلَى
فَكَيْفَ أَرَى أَسْلُوَ عُلَايَ وَقَدْ نَأَتْ وَفِي «الْإِسْكَأُو» (2) أَضْحَى لَهَا هَدَفٌ أَسْمَى

(1) «مع حُبِّي ورضاي».

(2) الإسكأُو، ISCAE، المعهد العالي للتجارة وإدارة المقاولات، الدار البيضاء (المغرب).

يُطَاوِعُهَا قَلْبِي وَيَكْتُمُ حُبَّهُ عَسَى عَوْدَةٌ بِالنُّجْحِ تُوتِي الَّذِي أُحِلِّي
فَتَغْلُو عَلَيَّ الْعَلِيَا وَكُلَّ عَلِيَّةٍ وَأَعْلُو بِهَا زَهْواً عَلَيَّ أَلَذِرْوَةَ الْعَلِيَا

ولما رحلت «ريم» صغرى بناته إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة دراستها في جامعة بوسطن، واجه لوعة الفراق بالكلمة الشعرية، واتخذ من القصيد أداة لإفراغ الضغط النفسي الناتج عن هذا الفراق، فقال مخاطباً «ريم»⁽¹⁾:

قَالُوا الْفِرَاقُ شِفَاءَهُ يَتَأَكَّدُ وَالصَّبُّ يَنْسَى وَالْجِرَاحُ تُضَمِّدُ
فَأَجِبْتُهُمْ هَذِي مَقَالَةٌ مِنْ سَلَا مَنْ لَمْ يُجَرِّبْ حَالَهُ تَتَجَدَّدُ
سَلْنِي أَنْبِئَكَ الْحَقِيقَةَ وَاثْقَا أَنْ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ دَوْمًا سَيِّدُ
يَارِيمُ حُبُّكَ فِي الْحِشَا لَا يُنْظَفِي وَالشَّوْقُ بَادٍ فِي الْجَوَى يَتَوَقَّدُ

هكذا يغدو التواصل الشعري بين الجراي وأبنائه وسيلة لاستمرارية العلاقة الأبوية المحملة بمشاعر الحنان والرعاية والتوجيه، ما يخلق ذلك التوازن النفسي المطلوب للأبناء في غربتهم، خاصة عندما تكون النشأة الأولى داخل الأسرة مؤسسة على الرعاية الدقيقة والاحتضان الكامل، القائم على المتابعة اللصيقة بالطفل في مراحل نموه المختلفة. ومن ثم يتولد هذا الضغط النفسي الذي أشار إليه الشاعر، حينما يبتعد عنه أحد أبنائه لإتمام دراسته، فتتولد لدى الأب الشاعر جملة من التساؤلات كما صيغت في قوله: «فكيف أرى أسلو عُلَاي وقد نأت» بعد أن أشعرنا بطبيعة العلاقة التي جمعتها بابنته حين قال:

(1) «مع حبي ورضاي».

أَنْسَتْ بِهَا فِي الْقُرْبِ تَرْتَعُ تَارَةً وَأُخْرَى عَلَى كُتُبِ الْمَعَارِفِ لَا تَسْلَى

ولا يختلف تعبير الأب الشاعر حين يخاطب بناته أو عندما يلتفت إلى «محمد»، الابن الوحيد بين البنات الثلاث. وكيف يمكن أن يكون اختلاف في التعبير وقد ثبتت محبتهم جميعاً في أعماقه، «كما ثبتت في الراحتين الأصابع».

ويبقى الحافز دائماً - حسب النصوص التي نتوفر عليها - لتواصل الشاعر مع ابنه «محمد» عبر القصيد، الرحلة العلمية لاستكمال الدراسة. فقد تابع محمد بن عباس الجرازي دراسته العليا بدوره، في الولايات المتحدة الأمريكية، فكان الشاعر عباس يغتم بعض المناسبات لتحقيق هذا التواصل، كما نجد في مخاطبته لابنه وهو في ديار الغربة حينما حلت ذكرى ميلاده، فكتب إليه يقول⁽¹⁾:

هِنَيْتَ بِالْعِيدِ الْجَدِيدِ مُحَمَّدُ وَالتُّجُّحِ حِفْلِكَ وَالسَّدَادُ الْأَحْمَدُ
فِي سَادِسِ التَّشْرِينِ الْأَوَّلِ جِئْنَا وَالبِشْرُ حَوْلَكَ وَالزَّمَانُ الْأَرْعَدُ
وَرَحَلْتَ تَخْطُبُ لِلْمَعَارِفِ أَوْجَهَا بُورُكْتَ وَالْأُحْتَابِ⁽²⁾، أَنْتَ مُعَصَّدُ
هَذَا حَلِّ عَيْدِكَ - فَلَذَيْبِ - أَنِّي لَنَا فِي الْعِيدِ أَنْ نَخْطِي وَأَنْتَ الْأُبْعَدُ
أَمَلِي وَأَمَلِكَ أَنْ تَكُونَ بِصِحَّةٍ وَمُؤَفَّقاً فِي الدَّرْسِ، وَهُوَ الْأَفِيدُ
وَتَعُودَ لِلْوَطَنِ الْحَبِيبِ مُكَلَّلاً بِالْعُغْمِ يَحْفَظُكَ الْإِلَآهَةُ الْأَوْحَدُ

(1) ديوان «مع حَبِّي ورضاي».

(2) الإشارة إلى «ألوف» و«عُلا».

والحق أن أشعار الجراري في هذا الباب لم تقتصر على أبنائه، رغم أن عنوان الديوان يحدد ذلك، بل نجده يبسط أحاسيسه عبر قوافيه لتمتد إلى الأحفاد، على غرار ما نقف عليه في مقطوعته «قبلة تهنئة لـ«نور»⁽¹⁾، والتي كتبها مهنئاً، بمناسبة الذكرى الأولى لهذه الحفيدة، ومطلعها⁽²⁾:

الْعَيْدُ أَقْبَلَ بِالْبَشِيرِ يُنُورُ وَالسَّعْدُ بَادٍ تَزْدَهِي بِهِ «نُورُ»

إن أشعار عباس الجراري الموجهة لأبنائه، تمثل جانباً من تجربته الشعرية، وإذا كانت المناسبة لا تسمح بتحليل هذه التجربة في أبعادها المتعددة، فإن هناك بعض الملاحظات التي يمكن لقاريء «مع حبي ورضاي» أن يسجلها، وهي كالآتي:

1- إن المادة الشعرية التي بين أيدينا والتي وجهها عباس الجراري إلى أبنائه، تعتبر ضئيلة إذا قيست بما وقفنا عليه في «أشواق» وقسم المساجلات.

2- يبدو لي أن هذه الكتابة الشعرية تمثل نوعاً من استمرارية الاحتضان والتأطير والرعاية التي خصصتها الأسرة الجرارية لأبنائها.

3- تملأ هذه الأشعار بعض الفراغ النفسي الذي يحس به الفرد حين انفصاله عن أسرته وبالتالي يغدو القصيد أداة لإحداث التوازن النفسي المطلوب في مثل هذه الحالات.

4- كما أن هذا النمط من الكتابة الشعرية يستحيل إلى أداة تحافظ على الوشائج العائلية وتقويها، وتعدو دعماً نفسياً، خاصة في مرحلة استكمال الدراسة.

(1) «نور» ابنة «ألوف» وحفيدة الشاعر.

(2) «مع حبي ورضاي».

5 - تنوع أشكال التعبير الذي تراوح بين القصيدة التقليدية والشعر التفعيلي الحر.

6 - نَوَّع الشاعر في مخاطبة أبنائه بين القصيدة والمقطوعة، وغابت النتفة الشعرية التي رصدناها في «أشواق».

وهناك نمط آخر من الكتابة الشعرية مارسه الشاعر الجراري على نطاق واسع، ويتمثل في تلك المساجلات والإخوانيات التي دارت مع بعض الكتاب والشعراء ممن جمعهم بالشاعر صداقة أو منتديات أدبية أو لقاءات علمية وندوات فكرية.

ومن خلال المجموع الشعري الذي نتوفر عليه، يتضح أن هذا اللون الشعري يشكل القسم الأكبر من هذه الأشعار، ما يدفع الدارس إلى التساؤل عما إذا كانت الإخوانيات والمساجلات أهم ما انصرف إليه اهتمام الجراري في مسيرته الشعرية؟ ما يمكن قوله بناء على المتن المحصور، من إنتاج الشاعر، أن الإخوانيات والمساجلات، يعتبر أكبر كم شعري جراري وقفت عليه.

وإذا كانت المقتطفات من ديوان «أشواق» تقدم جانباً من التجربة العاطفية التي عاشها الشاعر الجراري مع زوجته «حميدة»، وأبرزت قصائد «مع حبي ورضائي»، جانباً آخر لصورة الشاعر الأب ورب الأسرة من خلال مشاعر إنسانية نبيلة تجاه أبنائه، فإن الإخوانيات والمساجلات، ترسم وجهاً مكماً لشخصية الشاعر، في علاقاته الاجتماعية مع شرائح مجتمعية مختلفة.

غير أن هذه الأشعار التي تحمل عنوان «الإخوانيات والمساجلات»، تتضمن بعض النصوص التي لها طابع خاص، من حيث طبيعة المخاطب.

فالمطلع على هذا القصيد سيجد عباس الجراري يتوسل بالشعر للتعبير عن مشاعر نبيلة تجاه الملك الراحل الحسن الثاني، وجمالة الملك محمد السادس حفظه الله. كان الحافظ لمخاطبة الحسن الثاني، انتهاء السنة الدراسية للمدرسة المولوية لموسم 1993- 1994، حيث قدّم عباس الجراري لجلالته طيب الله ثراه، بعض كتبه، شفها بقصيدة مطلعها⁽¹⁾:

جُرُوتٌ فَجَبَّرْتُ الْكِتَابَ إِلَيْكُمْ يَقِيناً بِأَنْبِي فِي ضَمَانِ حَاكِمِ

وله قصيدة أخرى يخاطب من خلالها الملك الراحل، وكانت المناسبة الداعية إلى هذا التقصيد، ما أُعِدق على الجراري من تنويه ملكي بعد إلقائه درساً رمضانياً يوم الأربعاء 11 رمضان 1419 = 30 دجنبر 1998، والذي أداره المحاضر حول «ثقافة الحوار كما أسسها القرآن الكريم»⁽²⁾، فكان لهذا التقدير أثره في نفس الشاعر فصاغ مشاعره حول هذه الالتفاتة المولوية في نونية تقول⁽³⁾:

يَا سَيِّدِي وَهْتَافُ أَحْبِّ نَادَانِي وَقَادَنِي حَامِلاً شِعْرِي وَأَلْحَانِي
عَلِي إِذَا مَا لَتَمْتُ الْكَمْفَ مُنْتَشِياً أَهْدَيْتُ لِلْحَسَنِ الثَّانِي رِيَا حِينِي
فَالشَّعْرُ أَنْتَ لَهُ رَاعٍ وَتَقْرِضُهُ وَمُبْدَعَاتُكَ فِيهِ دُرٌّ تِيحَانِ
تَغْرِيدُهُ عَذْبَةٌ قَلْبِي تَعَشَّقَهَا فَوَقَّعْتَ لِحَنَهَا أَوْتَارَ عِيدَانِي

.....

(1) من «ديوان الإخوانيات والمساجلات».

(2) يمكن الاطلاع على هذا الدرس في كتاب «دروس حسنية»، عباس الجراري جمع وتقديم: حميدة الصايغ الجراري، ص، 223.

(3) من «ديوان الإخوانيات والمساجلات».

وتوسل عباس الجراري بالشعر مرة أخرى لمخاطبة جلالة الملك محمد السادس. فقد أجريت للشاعر عملية جراحية في مدينة الرباط برعاية ملكية سامية، شفّعها جلالته بهدية وبطاقة كتب عليها بخط يده «كشف الله عنكم الضر، ومنحك الشفاء والصبر، ومجل لكم العافية. محمد»⁽¹⁾.

فجاء جواب الجراري شعراً من خلال مقطوعة قدم لها بعبارات الثناء والإجلال، قال⁽²⁾:

وَأَفْتِ هَدِيَّةً سَيِّدِي تُرْجِي الشِّفَاءَ تُلْقِي «رِذَاءَ» السَّعْدِ بِشْرًا وَهِنَاءَ
«عُوداً» تَضْوَعُ عِطْرُهُ أَرْجَاءً وَفَاحَ وَ«بَطَاقَةً» ضَمَّتْ حُرُوفاً مِنْ ضِيَاءِ
قَدْ صَاغَهَا قَامُ الْمَلِكِ مُشْرِفًا لِحَدِيْمِهِ السَّاعِي إِلَى كَسْبِ الرِّضَاءِ

أما المساجلات التي تبادلها مع الغير، فقد تميزت بتنوعها على مستويات متعددة. فقد ساجل الجراري، الفقيه والدبلوماسي والوزير، والأستاذ الجامعي الشاعر، إلى غير ذلك⁽³⁾، ولم تنحصر مساجلاته في شعراء المغرب، بل امتدت لتشمل بعض الشعراء من المشرق على غرار ما دار بينه وبين الشاعر الإماراتي مانع سعيد العتيبة الذي كتب مخاطباً الشاعر الجراري، قال⁽⁴⁾:

(1) توجد النسخة الأصل لهذه البطاقة في الخزانة العباسية.

(2) من «ديوان الإخوانيات والمساجلات»، وللجراري أشعار أخرى في التعبير عن مشاعر التقدير لجلالة الملك محمد السادس، أنظرها في ديوان «المحمديات»، إعداد وتصدير عبد الحق المريني، تقديم الدكتور عباس الجراري، منشورات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، ط، 1، 2016.

(3) من الشعراء الذين ساجلهم الجراري: الفقيه محمد حكم، والأديب عبد اللطيف خالص، والدكتور عبد الحميد الهرامة من ليبيا، وسفير اليمن بالقاهرة الدكتور عبد المولى الشميري، والشاعر السلوي أحمد السوسي التناي، والشاعر مولاي الحسن الحسيني من «منتدى الأدب لمبدي الجنوب» بتارودانت، وبعض الشعراء الموريتانيين والسوريين.

(4) من «ديوان الإخوانيات والمساجلات»، عباس الجراري، مخطوط بالخزانة العباسية.

جَاءَنِي قَوْلٌ عَجِيبٌ مِنْ مَعَارِبِنَا الْحَبِيبِ
 فِيهِ رِيحَانَةٌ وَوُزْدٌ صِرْفُهُ يَنْفُخُ طِيبَ
 مَرْحَباً بِالْوُفْدِ هَذَا فِي الْأَمَارَاتِ قَرِيبِ
 وَلَهُمْ طَابَ مَقَامٌ بَيْنَ أَهْلِ وَنَسِيبِ
 أَنْتَ يَا عَبَّاسُ فَاسْأَلْ إِنَّكَ الْفَدُّ الْأَدِيبِ

فجاء جواب الجراري من خلال قصيدة قال فيها⁽¹⁾:

قِفْ يَا زَمَانَ وَحُطَّ رَحْلَكَ هَاهُنَا
 هَذِي الْأِمَارَاتُ الْمُنِيرَةُ أَشْرَقَتْ
 هَذِي مَرَابِعُ إِخْوَتِي أَكْرَمَ بِهِمْ
 وَأَبْنُ السَّعِيدِ يَرَى الْوُفُودَ مَرْحَباً
 كَلْفاً بِمَا سَاقَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْهَوَى
 الشَّاعِرُ الْخُنْدِيدُ قَدْ عَلِمَتْ بِهِ
 الشَّهْمُ إِذْ عَزَّتْ شَهَامَةُ أُمَّتِي
 الْحُبُّ قَدْ سَكَنَ الْقُلُوبَ وَإِنْ تَشَا
 سَتَقُولُ: حَيِّ لِلْعَتِيَّةِ دَائِمٌ
 وَأَهْتَفُ بِأَنْ نِلْتَ الْمُرَادَ مَعَ الْمُمَى
 يَسِي الْعُقُولَ جَمَالُهَا وَيُشَدُّنَا
 قَدْ طَالَ شَوْقِي نَحْوَهُمْ حَتَّى الْعَنَا
 مُتَهَلِّلاً بِأَدْيِ الْمَسْرَةِ وَالْهَنَا
 وَبِمَا تَسَاقَى مِنْ أَفَانِينَ التَّنَا
 وَيَشْغُرُهُ تَمَلَّتْ تُرِدُّهُ الدُّنَا
 فَاقِ الْقَصِيَّ بِبُئْبُلِهِ أَوْ مِنْ دَنَا
 فَاسْأَلْ عُيُونَ الْحَاضِرِينَ وَقُلْ لَنَا؟
 إِذْ هُوَ مَانِعٌ أَنْ يُفَرِّقَ شَمْلُنَا

(1) من «ديوان الإخوانيات والمساجلات».

وكما تنوعت اهتمامات المساجلين للشاعر الجراي، تباينت أجيالهم. فكانت له إخوانيات مع بعض الشعراء الذين ينتمون إلى جيل سابق عليه، من أولئك الذين ينتسبون إلى جيل والده العلامة عبد الله الجراي، ومنهم الشاعر محمد بن الراضي⁽¹⁾ الذي خاطبه العباس بمقطوعة شعرية أسماها «نجم الموسم»⁽²⁾، افتتحها بقوله⁽³⁾:

فُومُوا أَهْتَفُوا حَيُّوا الْأَدِيبَ مُحَمَّدًا نُجِّلَ الرَّضِي لَمَّا أَفَادَ وَأَنْشَدَا
بِالشَّعْرِ بِالنَّثْرِ الْجَمِيلِ يَصُوغُهُ أَحْيَا النَّدِيَّ مُحَرِّكًا وَمُجَدِّدَا

ومن الشعراء الذين ينتمون إلى جيل الجراي، وتبادل معهم الشاعر بعض المساجلات الشعرية، نجد الشاعر المغربي الكبير علي الصقلي صاحب النشيد الوطني، والذي أعلنه عميد الأدب المغربي «أميراً للشعراء» من خلال قصيدة تؤرخ لهذا الحدث⁽⁴⁾. فحينما قدم

(1) الأستاذ محمد بن الراضي (1921-2013) من شعراء المغرب المخضمين. عاش فترة من حياته زمن الحماية وأخرى في مرحلة الاستقلال. وهو أحد رجالات الحركة الوطنية، وصاحب نشيد «يا صاحب الصولة والصولجان» الذي وضعه في الفترة التي كانت تعد فيها وثيقة المطالبة بالاستقلال، وقد لحنه وأداه الأستاذ أحمد البيضاوي.

(2) المقصود بـ«الموسم» موسم النشاط الأدبي للنادي الجراي، الذي يبتدئ أول شهر شتنبر من كل عام، وينتهي آخر شهر يوليوز. وقد كانت مشاركة الأستاذ محمد بن الراضي - وهو أحد شعراء النادي الجراي - متميزة خلال موسم 1991-1992، فاعتبره عميد الأدب المغربي، رئيس النادي، «نجم الموسم»، ودوّن الحدث شعراً.

(3) من «ديوان الإخوانيات والمساجلات».

(4) بالإضافة إلى النص الشعري الذي أعلن، من خلاله، عميد الأدب المغربي د. عباس الجراي علي الصقلي أميراً للشعراء، والذي كتبه بتاريخ 29 دجنبر 2011، أقام النادي الجراي في 17 ماي 2013 جلسة تكريمية للصقلي أنشد الجراي خلالها قصيدته التي تحمل عنوان «أمير الشعراء»، ولتأكيد هذه الإمارة على أساس أكاديمي، نظم النادي الجراي، بتعاون مع جمعية رباط الفتح، ندوة علمية تناولت شعر=

عباس الجراري مجموعة من الكتب إلى الشاعر علي الصقلي، كتب هذا الأخير قصيدة شاكراً ومنوهاً بهذه الالتفاتة، فقال⁽¹⁾:

أَعْرِفْتَنِي، يَا لَيْتَ كُلِّ غَرِيقٍ مِثْلِي، وَفِي بَحْرِ لَيْخِرِ صَدِيقٍ
بَحْرِ أَلَالِي يَضْطَفِي أَغْلَاقَهَا فَكَّرَ عَشِيْقُ الصَّيْدِ، يَا لَعَشِيْقِ!
فَكَرَ غَنِي، عَبَقْرِي، نَابَهُ يَزُوي... وَمَا يَزُوي بِغَيْرِ رَحِيْقِ
إِن قِيلَ عَنْهُ، مُشَارِكٌ فَبَوْضِفِهِ هَذَا، وَأَيُّمُ اللَّهِ، جِدُّ خَلِيقِ

فجاء جواب الشاعر الجراري في مقطوعة شعرية حملت اسم «أمير الشعراء»، قال⁽²⁾:

بَلْ أَنْتَ مَنْ أَعْرِفْتَنِي بِثَمَالَةٍ فِي بَحْرِ شَعْرٍ رَائِقٍ وَأُنِيقِ
بِأَلْحَبِّ يَسْمُو مَوْجُهُ مُتْرَاقِصاً زَهْواً بِمَا أَهْدَيْتَنِيهِ رَشِيْقِ
أَهْدَيْتَنِي مَا فَاقَ كُلَّ هَدِيَّةٍ بِالتَّبْرِ أَوْ بِالدُّرِّ أَوْ بِعَقِيْقِ
أَنْ لِي مِثْلِي أَنْ يُسَاجِلَ قَمَّةً فِي الشَّعْرِ تَعْلُو ذُرُوكَ كُلِّ شَهِيْقِ
قَدْ حُزْتُ فِي سَبْقِ الْفَوَافِي مَشْعَلاً فَعَدَوْتُ فِي الْإِبْدَاعِ فَوْحَ عَيْقِ

= أمير الشعراء، بتاريخ 10 أبريل 2014، شارك فيها مجموعة من الباحثين الجامعيين وبعض الشعراء، وصدرت أعمال هذه الندوة في كتاب بعنوان «علي الصقلي أمير الشعراء»، ضمن منشورات النادي الجراري تحت رقم 69، سنة 2016.

(1) ديوان الإخوانيات والمساجلات. وانظر هذه القصيدة في كتاب «شعراء النادي الجراري: الشاعر والنص»، ص، 59.

(2) ديوان الإخوانيات والمساجلات.

وَالْفَارِسَ الْمَعْوَارَ دُونَ مُنَازِعٍ فِي سُوحِ هَذَا الشَّعْرِ جَدَّ خَلِيقِ
فَاهِنًا بِمَا قَدْ نَلْتَهُ وَأَفْخَرُ بِهِ وَأَسْعَدَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ بِحَقِيقِ

وفي إطار ما دار بين الصقلي والجراري من مساجلات وإخوانيات، كتب العباس قصيدة رائية يشيد من خلالها بالشاعر الصقلي وعلو شاعريته مؤكداً أحييته بإمارة الشعر العربي، قال⁽¹⁾:

الْيَوْمَ مَجْلِسُنَا بِرَمِيٍّ نَزِيرٍ وَالتَّادِي فِي حَفْلٍ يَتَبَهُ وَيَفْخَرُ
يَهْتَرُ مِنْ طَرَبٍ وَقَدْ أَشْرَكْتُهُ إِنْ دَاعَ صَادٍ بِالرَّوَائِعِ يُنْثَرُ
فَالْتَثُرُ عِنْدَكَ مَائِدٌ فِي طَرِبِهِ وَالشَّعْرُ يَرْهُو فِي حِمَاكَ وَيُرْهِزُ

أَحْيَيْتَ لِلإِبْدَاعِ رَوْقَهُ الَّذِي قَدْ كَادَ يُنْسَى أَوْ بِقَصْدٍ يُقْبَرُ

إِذْ أَنْتَ فِي شُعْرَاءِ عَصْرِكَ قَائِدٌ وَرَعِيئُهُمْ وَعَمِيدُهُمْ وَأَكْرَرُ
لَوْ يَخْضُرُونَ الْيَوْمَ سَاقُوا بَيْعَةً لَكَ يَا أَخِي بِإِمَارَةٍ قَدْ تُذَكَّرُ
لَأَتَوْا جَمِيعاً رَافِعِينَ لِوَاءِهِمْ يَدْعُونَ أَنَّكَ يَا عَلِيُّ الْأَجْدُرُ
هِيَ بَيْعَةٌ قَدْ كُنْتُ قَبْلُ كَتَبْتُهَا وَدَعَوْتُ فِي دَرْسِي لَهَا وَأَبْرُرُ

(1) من «ديوان الإخوانيات والمساجلات»، وانظر القصيدة في كتاب «شعراء النادي الجراري»، صص، 51-49.

وَأَلْيَوْمَ فَالْتَّادِي الْجِرَارِي بِحَفْلِهِ وَالسَّعْدُ يَغْمُرُهُ يُنَادِي يُظْهِرُ
أَنْتَ الصَّقَلِي شَاعِرٌ فَرَدُّ لَهُ قَدَحٌ مُعَلَّى بِالْبَدَائِعِ يَسْحَرُ
فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَيَعْرُبُ كُلَّهُمْ فِي سَائِرِ الْأَوْطَانِ رَسْمُكَ يُنَشِّرُ

فأبي الشاعر الصقلي إلا أن يقتسم الإمارة الأدبية مع الجراري، فكتب قصيدة معلناً عميد الأدب المغربي أميراً للبيان، وقال⁽¹⁾:

أَمِيرَ الْبَيَانِ بِأَعْلَى سَرِيرِ وَهَلْ لِلْبَيَانِ سِوَاكَ أَمِيرُ؟
تَصَوُّغُ الزَّوَاهِي وَلَوْ مِنْ حَدِيدِ فَيَغْدُو الَّذِي صُغْتَهُ مِنْ حَرِيرِ
وَإِنَّ ضَاعَ نَفْحُ عَبِيرِ بَيَاناً فَلَيْسَ سِوَى لَكَ نَفْحُ عَبِيرِ
فَهَذَا نَظِيمٌ بِأَعْلَى الدُّرَى وَذَلِكَ بِجَنْبِ الدَّرَارِي تَنِيرِ

حَبِيبِي عَبَّاسُ، يَا هَرَمًا بِأَعْلَى الْأَعَالِي بَدَا لِلكَثِيرِ
لِمِثْلِكَ أَنْتَ وَمِثْلِي أَنَا وَلَا فَخْرَ، بِالْمَكْرَمَاتِ جَدِيرِ
أَمِيرَاتِ نَحْرِي، وَمَا بَيْنَنَا وَنَحْرِي سَوِيَّاتِ، أَيُّ كَبِيرِ!
وَلَسْتُ أُعْرُ بِهَ لَقْبًا وَمَا إِنِّ بِهَ كُنْتُ يَوْمًا غَرِيرِ

ولم تقتصر مساجلات الشاعر عباس الجراري على شعراء من جيل سابق عليه أو من جيله، بل نجده تبادل هذه الأشعار مع بعض طلابه الشعراء الذين

(1) من «ديوان الإخوانيات والمساجلات».

لهم مساهمات أغنت الساحة الشعرية المغربية المعاصرة. من هؤلاء الشاعر مصطفى الشليح⁽¹⁾، أحد شعراء النادي الجراي، وله مع عميد الأدب المغربي عدة مساجلات، منها ما دار بينهما في مجالس الجراي الأدبية التي تتعقد أيام الجمع، وكان ذلك ربيع سنة 1996 حيث خاطب الشاعر السلوي الجراي، قال⁽²⁾:

إِنِّي سَأَلْتُ الْقَوَافِي وَهِيَ حَائِرَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَمَّا كَانَتْ مِنْ أَمْرِ
عَنْ رَبِّةِ الشِّعْرِ وَالْأَنْسَامِ مَائِسَةٌ بِمَا لَدَيْهَا مِنَ الْأَنْعَامِ وَالشِّعْرِ

يَا رَائِقَ الشِّعْرِ عِنْدِي أَلْيَوْمَ مَسْأَلَةٌ قَدْ جِئْتُ أَعْرِضُهَا مِنْ دُونِ مَا سِئِرُ
مَا أَلْقَوْلُ أَمَّا عُيُوبُ الْقَافِيَاتِ رَأَتْ بِأَنَّهَا لِرِبَاطِ الْفَتْحِ لَنْ تَسْرِي؟

فجاء جواب الشاعر الجراي بقصيدة رائية تبسط بعض ما أشار إليه الشاعر السلوي، قال⁽³⁾:

مَهْلًا أَيَا مُصْطَفَى تُتَلَّقِي مُسَاءَلَةً لِرَبِّةِ الشِّعْرِ عَنْ إِبْدَاعِهَا الدَّرِي
هَلْ تَبْعُهُ فِي رِبَاطِ الْفَتْحِ أَمْ بِسَلَا؟ وَهَلْ بِرُوضِهِمَا مِنْ أَنْجُمٍ زُهْرِي؟
إِنِّي - عَلَى الْعِلْمِ - لَا أَبْغِي مُفَاصَلَةً وَلَا أَسْتَبَاقًا إِلَى الْمَيْدَانِ إِذْ أُدْرِي

(1) الأستاذ الدكتور مصطفى الشليح من الجامعيين الشعراء، أصدر عدة دراسات نقدية تتناول الأدب المغربي، وله عدة دواوين منها: «عابر المرابيا» و«ماء العراق يشربه القصف»، «كأن النهر امرأة... لا تنام»، «في ألف رباعية... ورباعية»، «هو... العابر الرائي».

(2) أنظر النص الكامل في كتاب «من تاريخ الأندية الأدبية في المغرب...»، ص، 194-195.

(3) نفسه، ص197.

أَبَّ الشُّعُورَ بِمَا يُوجِيهِ دَافِقُهُ فِي الصِّفَتَيْنِ غَدَا رَقْرَاقُهُ يَسْرِي

وَالْيَوْمَ مَاذَا الَّذِي تَبْنِي أَخَا فَنِّبِ وَأَنْتِ تَعْرِفُنَّ أَنَّ الشَّعْرَ فِي دَحْرِ
فَمُنْذُ قِيلَ بِأَنَّ الْقَارِضِينَ لَهُ فِي الْعُرْبِ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ يَجْرِي؟
أَيَقْنَتْ أَنَّ الشَّعْرَ الْيَوْمَ غَالِيَهُ إِلَى الشَّعِيرِ أَنْتَمِي أَوْ قُلِّي إِلَى الْعُهْرِ

ومن هؤلاء الشعراء الجامعيين الذين تلمذوا للأستاذ الجارري في الجامعة المغربية، وساجلوه، نجد الشاعر مصطفى الزباخ⁽¹⁾. فقد دارت بينه والشاعر الجارري عدة مساجلات شعرية، ربما كان أطولها وأكثرها امتداداً في الزمن، تلك التي أطلق عليها «المساجلة الأنجولأصبية»⁽²⁾. وهي مساجلة شعرية اشترك فيها ثلاثة شعراء: عباس الجارري، عبد العزيز التويجري⁽³⁾، مصطفى الزباخ، وشارك في موضوعها الأديب أحمد العمارتي، وكانت مشاركته من خلال نصوص نثرية صيغت في قالب مقامي⁽⁴⁾.

كان انطلاق هذه المساجلة بعد أن أقام الدكتور مصطفى الزباخ مأدبة عشاء على شرف بعض الأساتذة الذين شاركوا في ندوة حول حوار الحضارات، بمدينة

(1) الدكتور مصطفى الزباخ، أستاذ جامعي بكلية علوم التربية، التحق بمنظمة الإيسيسكو حيث شغل منصب مدير لعدة مديريات في هذه المنظمة. أصدر الشاعر الزباخ ديوانين: «أصنام الشر» سنة 1972، و«أشواق الموحظ الطامئ» سنة 2013.

(2) أنظر المساجلة كاملة في قسم المساجلات.

(3) الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري هو المدير العام لمنظمة الإيسيسكو.

(4) جمع الأديب أحمد حسن العمارتي نصوص المقامات التي شارك بها في هذه الواقعة، ونشرها ضمن كتاب أسماه «التماس المنى والقلائد مما في المقامات العمارتية من أدب وفوائد»، سنة 2011.

شفشاون تحت إشراف منظمة الإيسيسكو. وكان ما قدمه لضيوفه نوع من السمك يسمى «الأنجولاس»، Las angolas وهو باهض الثمن، لكن شكله الذي يشبه الدود، لم يشجع الضيوف على الإقبال عليه، ولم يثر شهيتهم. فكتب الشاعر الجراري مخاطباً مصطفى الزباخ⁽¹⁾:

أَقَامَ لَنَا الزَّبَاخُ مَأْدُبَةَ الْعَشَا	لِإِكْرَامِنَا فِي شَاوِنِ «بَكْسَا حَسَنٍ» ⁽²⁾
هُنَالِكَ حَيْثُ أَلْمَلْتُمُنِي مُتَجَمِّعٌ	لِيَحْثِ حِوَارٍ لِلْحَضَارَةِ قَدْ عُيِبَ
أَبُو حَسَنِ الرَّيْسُونِي يُزْهِى تَبَاهِيًا	كَذَاكَ أَلْوَزِيرُ السَّعْدُ مَعَ عَامِلِ الْهُدْنِ
تَوَالَتْ بِهَا الْأَطْبَاقُ مِنْهُ تَفَضُّلاً	وَأَفْضَلُهَا كَالدُّودِ يَقْوَى بِهِ الْبَدَنُ
كَذَا قَالَ يُعْرِينَا جَمِيعاً بِأَكْلِهِ	وَزَادَ بَأْتِ السَّعْرِ يُغْلُو لَهُ الثَّمَنُ
وَأَتَّ اسْمَهُ لِلْأَنْجُولَاصِ أَنْتِسَابُهُ	وَأَتَى لَنَا أَنْ نَطْمَئِنَّ لِذِي الْمِنَنِ
فَمَا زَادَنَا إِلَّا أَبْتِعَاداً وَنَفْرَةً	عَلَى أَنْتَا كُنَّا نُعَانِي مِنْ أَلْوَهْنِ
أَلَا فَاعْجَبُوا كَيْفَ الزَّبَاخُ يُضِيفُنَا	وَيُكْرِمُنَا بِالذُّودِ يَا لَهُ مِنْ زَمَنِ

.....

وتتابع الانتقاد لهذه المأدبة من خلال قصائد ومقطوعات شعرية من طرف الشعارين عباس الجراري وعبد العزيز التوجيري، فانبرى الشاعر الزباخ إلى الدفاع عن نفسه فكتب مجيباً مدافعاً وقال⁽³⁾:

(1) من ديوان «الإخوانيات والمساجلات».

(2) Casa Hassan (دار حسن) اسم مطعم بمدينة شفشاون.

(3) من ديوان «الإخوانيات والمساجلات».

بَادِرِضَالِكَ وَإِنْ زَلَّتْ حُطَى السَّفَرِ فِي جُودِ عَيْنَيْكَ عَقْدُ السَّمْحِ مُنْتِظِمٌ
 مَا كُنْتُ أَوْثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِ زَمَنِي حَتَّى يُعَيِّرَنِي الْأَحْبَابُ وَالْقَلَمُ
 قَالُوا الْحَبِيبَ طَهَا لِصِنْفِهِ عَجَباً إِنَّ السَّمَّاحَ لِأَهْلِ الْعَثْرِ مُعْتَصِمٌ
 يَا لَأَيُّمِي فِي الْهَوَى وَالْإِكْرَامِ مَعْدِرَةً شَفُوشَاؤُكَ يَكْفِي مِنْهَا أُمَّهَا كَرُمُ
 شَفُوشَاوَنَ فِي حُسْنِهَا فِي حُبِّ سَاكِنِهَا يَكْفِيكُمْ أُمَّهَا فِي تَرْحَابِهَا هَرَمُ
 لَا تَعْجَبُوا سَادَتِي مِنْ حُوتِ أُمَّهَرِهَا فِي السَّمَلِ يُزْهِرُ مَا لَمْ تَعْرِفِ الْقَمَمُ
 أَسْمَاكُنَا دُرَّرٌ فِي النَّهْرِ مَوْلُدَهَا يُشْتَاقُ لَدَيْهَا الْأَسْيَادُ وَالْهَمَمُ

.....
 عَبَّاسُ مَالِي أَدَابُ فِي قَصَائِدِكُمْ وَأَنْتَ مَنْ كُنْتَ لِلْبَجَائِنِ مُعْتَصِمٌ
 عَبَّاسُ هَلْ تَرَضَى فِي حُكْمِكُمْ زَلُّ وَهَلْ تُرَى يَسْتَوِي فِيكَ الْخُضْمُ وَالْحَكْمُ
 إِنَّ كَانَتْ يُرِضِيكُمْ مَا قَالَ عَاذِلُنَا كَيْفَ الرَّجَاءُ إِذَا صَدَّقْتُمُ الْوَجْمُ

والمطلع على إخوانيات ومساجلات الشاعر عباس الجراري، يجد أنها تفتح
 كذلك على شعراء شباب، حيث لا يشكل عنصر السن حاجزاً، بل لا يتأخر عميد
 الأدب المغربي في محاوره شاعر شاب، حينما يكون الدافع إلى ذلك فكرياً أو فنياً،
 على غرار ما نامسه في مساجلته مع الشاعر مصطفى طوبي⁽¹⁾ الذي كتب قصيدة

(1) الدكتور مصطفى طوبي أستاذ جامعي بكلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير، مهتم بعلم
 المخطوطات والترجمة. له ديوان «نافذة لعويل الريح»، نشر سنة 2002. بالإضافة إلى ديوانه
 «مسافات لبلوغ الفجر».

بعنوان « معلقة القدس » مع عنوان فرعي هو: « تقرير مرفوع إلى عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري ». قال⁽¹⁾:

الشَّعْرُ فَاصٌّ عَلَى الْوَجْدَانِ مُحْتَشِمًا وَالْبَدْرُ هَلَّ عَلَى الْأَشْرَافِ مُبْتَسِمًا
قَدْ كَانَ لِي وَهَجٌ فِي الْقَوْلِ يُطْرِبُنِي ثُمَّ أَنْزَوَيْتُ فَصَارَ الصَّمْتُ مُفْتَحِمًا
وَصِرْتُ عِبْنًا عَلَى الْأَدَابِ أَعْبُرُهَا أَجْرِبُ الْقَوْلَ أَوْزَانًا وَمُنْعَدِمًا

.....

عَبَّاسُ يَا عُنْدَةَ الْأَدَابِ أَجْمَعِهَا يَا بَلْسَمَ الْجُرْحِ هَيَّا أَفْتِنَا حِكْمًا
الْقُدْسُ فِي غَفْلَةِ التَّارِيخِ نَائِحَةٌ قَدْ صَارَ فِيهَا صِلَاحُ الدِّينِ مُنْهَزِمًا
وَصَارَ لِلنَّاسِ فِي أَحْوَالِهِمْ غَيْرٌ كُلُّ يُغْتَيِّ عَلَى لَيْلَاهِ مُبْتَسِمًا
عَبَّاسُ يَا أَيُّهَا الشَّادِي بِصَوْلَتِهِ مَاذَا أَقُولُ وَقَدْ أَرَبَكْتَنِي قَسَمًا
مَاذَا أَقُولُ وَهَذَا التَّقْرِيرُ أَنْسُجُهُ رَفْشًا يُجَارِي زُلَالَ الْمَاءِ مُلْتَطَمًا
وَلِيَ الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُبَجِّلُهُ شِعْرًا وَتَثْرًا لَدَى الطَّلَابِ مُنْتَظَمًا
هَذَا يَحُولُ مِنَ الْأَشْعَارِ أَجْزَلَهَا وَذَا يُصَرِّفُ فِي أَقْوَالِهِ الْحِكْمَا
وَشُعْبَةُ الصَّادِ لِلْأَدَابِ قَبْلَتُنَا طَوْدٌ مِنَ الْمَجْدِ أَمْحَى سَهْلُهُ أَكْمَا
وَالآنَ يَا أَسْفِي أَنْعَى لَكُمْ زَمَنِي هَذَا الَّذِي صَارَ فِي التَّارِيخِ مُنْعَدِمًا

.....

(1) معلقة القدس، قصيدة للشاعر مصطفى طوي، من ديوانه «مسافات لبلوغ الفجر»، ط، 2015.

ولما كان الخطاب موجهاً بشكل مباشر إلى الأستاذ عباس الجراري، ويحمل في طيه شكوى من مواقف وقضايا معينة، لم يتردد الشاعر الجراري في التجاوب مع هذا النص الشعري وصاحبه. فمعلقة القدس تحكي مأساة فلسطين وتشكو ما آل إليه الشعر العربي على يد بعض من يدعون الاصطفاف في صف الشعراء، بل يرى صاحب المعلقة أن «شيخ البلادة أضحي شاعراً هزماً»⁽¹⁾، وكل ذلك، من القضايا التي شغلت عميد الأدب المغربي وله فيها أبحاث ومواقف. من ثم جاء جوابه على ميمية الشاعر محمد الطوبى يقول⁽²⁾:

وَهَاجَ وَجُدُكَ حَقًّا لَيْسَ ذَا حُلْمَا	الشِعْرُ فَاضَ بِصِدْقٍ فَلْتَدْعُ سَأْمَا
وَأُطْرَبْتُ أَنْفُسًا تَأَقَّتْ لِمَا نَعَمَّا	أُبَدِّعُ زَائِعَةً أَحْيَيْتَ مَشَاعِرَنَا
هَدْمُ الْأَصِيلِ وَمَا يَبْدُو لَهَا سَقَمَا	وَأُخْرَسَتْ أَلْسِنًا دَعَوَى الْجُدِيدِ لَهَا
عَلَى الْوَهَادِ بِكُلِّ الْأَفْقِ قَدْ جَثَمَا	رَاحَ الظَّلَامُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ تَحْسِبُهُ
وَلَا يَرْغَبُ الَّذِي بِالْقَلْبِ قَدْ نَقَمَا	أُبَدِّعُ كَمَا شِئْتَ لَا تَخْفَلُ بِذِي حَسَدِ
بِهِ سَمَوْتُ وَكُنْتُ النُّجْمَ وَالْعَلَمَا	فَالشِعْرُ عِنْدَكَ أَنْعَامٌ مُرْتَلَةٌ

إن ديوان «الإخوانيات والمساجلات»، يسهم في الكشف عن جانب آخر من شخصية الشاعر عباس الجراري، بل تحمل هذه النصوص أحياناً مواقف وآراء حول بعض القضايا، كما تبين ذلك بعض النماذج التي قدمناها في هذه الكتابة

(1) البيت المشار إليه هنا هو: تَكَلَّلَ الخَلْقُ بِالآدَابِ كُلِّهِمْ
من قصيدة «معلقة القدس».

(2) من ديوان «الإخوانيات والمساجلات»..

كالحديث عن وضعية الشعر العربي في المغرب، أو بعض الإشارات السياسية والدينية وغير ذلك مما لا يسمح المقام بالتفصيل فيه.

هذه بعض الملامح التي يمكن تشكيلها لصورة عباس الجراري الشاعر، ولاشك أنها صورة غير مكتملة، ما دام أن المتن الشعري المعتمد في هذا التقديم، لا يشكل سوى مقتطفات من الدواوين الثلاثة، التي جمع الجراري أشعاره ضمنها.

غير أن ما استطعنا الحصول عليه، يسمح بتقديم صورة أولى للجراري الشاعر، الذي ظل هذا الجانب من كتاباته الأدبية غائباً. وقد بدا أن عميد الأدب المغربي، قد بدأ ممارسة الكتابة الشعرية في مرحلة شبابه، وظهر اسمه في الساحة الشعرية المغربية في سنوات الخمسين من القرن العشرين، ولولا إجماعه عن متابعة نشر أشعاره، لكان واحداً من أبرز شعراء المغرب في تلك المرحلة، خاصة وأن تجربته الشعرية تميزت بكتابة القصيد العمودي، والنص المتمرد على نظام الخليل، بل تميزت هذه التجربة بكتابة النص الزجلي الراقي الذي يمتح من شعر الملحون، وهو معين نهل منه الشاعر العباس الكثير، بل امتدت مصاحبته لهذا النمط من الإبداع الشعري المغربي الأصيل، على مدى عقود من الزمن، دراسة وتديسا وإبداعاً، دون أن ننسى التذكير بعمله الأكاديمي المؤسس «الزجل في المغرب: القصيدة»، ثم إشرافه على موسوعة الملحون التي تصدرها أكاديمية المملكة المغربية، مقدّماً لدواوينها بدراسات علمية أصيلة.

وقد رصدنا من خلال المجموع الشعري الذي بين أيدينا، المجالات التي تحركت داخلها القصيدة العباسية، بدءاً بالتجربة العاطفية إلى المجال المرتبط بقضايا مجتمعية متعددة سيقّت طي مساجلاته؛ ومع ذلك يخامرني إحساس

شفيف، بأن الفضاء الذي اقتحمه الجراري شعراً، أوسع بكثير مما تشير إليه النصوص المتوفرة لدينا، وقد يسعف الزمن في الوصول إلى الخبيء الكامن.

وسيلحظ القارئ لهذا التقديم، أننا بسطنا القول في المجالات التي قال فيها الشاعر الجراري، غير أن السؤال: كيف قال؟ بقي في دائرة الغياب؛ فلم يكن هدف هذا التقديم طرق هذا الجانب، فداخله متعددة، وتسعف المناهج المتعددة لإعمال النظر فيه بمستويات متباينة، بما يسمح بالكشف عن خصائص المتن الجراري، مُؤَسَّساً نقدياً، ومُسيِّجاً بسياقه التاريخي؛ وذلك ما نرغب في الإلتفات إليه استقبالاً، إن أسعف الزمن في ذلك، أو ينبري إليه غيرنا بروح الباحث المتجرد، الساعي إلى المساهمة في ترميم تاريخ الشعر العربي بالمغرب في مرحلتيه الحديثة والمعاصرة.

رباط الفتح، 25 أكتوبر 2016

مقتطفات من دواوين

* أشواق .

* مع حبي ورضاي .

* إخوانيات .

أهذا هو الحب؟⁽¹⁾

حميدتي:

الساعة تدق التاسعة، وقد مضى أزيد من ساعة عن خروجك من الجامعة ولم تحضري كما وعدت، وبدأت أشعر بضيق شديد لم أدر إلا وهو يدفعني لأنتثر لك هذه الأشرطة الشعرية الخفيفة:

دَعِينِي حَمِيدَتِي مِنْ ذَا الصِّيَاءِ صِيَاءٍ أَنَارَ بِأَمْسِي البَسِيمِ
دَعِينِي فَنَفْسِي بِهَا ظُلْمَةٌ وَقَلْبِي وَرُوحِي أَحْبَابُ الظَّلَامِ
دَعِينِي فَهِيَ رَأْسُنَا ذِكْرِيَاتٌ عَنِ الْحُبِّ فِي الرَّجْعِ مِثْلِ الأَيْنِ
لَعَلَّ تَذْكَرَهَا خَلْوَةٌ يُنْقَسُ عَمَّا بِقَلْبِي دَفِينِ
زَمَانًا أَشَعَّ عَلَيَّ الْحَيَاةَ⁽²⁾ وَصَاغَ عَلَيَّ تُغْرِيَّ البَسْمَاتِ
فَأُصْبِحُ مِثْلَ لَيْالِي الدُّجَى تَدِيرُ لَهُ مُقْلَتِي العَبْرَاتِ
لَقَدْ كَانَتْ يَهْفُو بِقَلْبِي - الكَبِيرِ⁽³⁾ وَيَرْتَوُّ لِكُلِّ شَدَى مِنْ حَبِيبِ
فَعَادَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ لِحِظَةً وَعُدْتُ أَلُوذُ بِنَفْسِي غَرِيبِ
أَهَذَا الَّذِي قَدْ بَسَمْنَا لَهُ أَهَذَا الَّذِي مِثْلَ هَبِّ النَّسِيمِ

(1) كتبت هذه القصيدة في القاهرة بتاريخ 19/ 10/ 1960.

(2) أي الحب.

(3) إشارة إلى ما قال لي أحد الأطباء بأن قلبي متضخم.

أَهَذَا هُوَ الْحُبُّ هَلْ تَعْلَمِينَ بِأَيِّ صِرْتُ كَمَنْ فِي بَحِيمِ
أَهَذَا إِذْتُ حُبُّنَا، حَبْرِي أَهَذَا الَّذِي فَاقَ حَرَّ اللَّهَيْبِ
أَهَذَا الَّذِي قَدْ لَعُونَا بِهِ أَهَذَا الَّذِي دَلَّ أَفْقاً رَهَيْبِ
أَهَذَا الَّذِي قَدْ مَدَدْتُ لَهُ يَدَيَّ وَوَطَّدْتُ فِيهِ غَدِي
أَهَذَا الَّذِي قَدْ نَثَرْتُ لَهُ زُهوراً بِقَلْبِي وَقُلْتُ: أَشْهَدِي
بَلَى لَيْسَ هَذَا الَّذِي نَبْتَغِي مِنَ الْحَبِّ: دَمْعٌ وَجُرْحٌ أَلِيمِ
بَلَى لَيْسَ هَذَا وَمَا يَنْبَغِي إِذْ الْحُبُّ سَعْدٌ وَعَيْشٌ نَعِيمِ
كَفَانَا الَّذِي نَالَهُ كُنْنَا كَفَانَا عَذَاباً وَبُعْداً سَجِيمِ
لَعْمَرِي إِيَّا لَنَا جَدْوَةٌ تُضِي قَلْبَنَا الشَّاعِرِي الرَّقِيقِ
حَرَامٌ حَمِيدَتِي أَنْ تَبْعُدِي وَتَمْضِي ثَمَانٍ وَلَا تَحْضُرِينِ
تَعَالِي غداً بَعْدَ أَنْ تُفْطِرِي⁽¹⁾ وَلَا تَنْسِي أَنْكِ قَدْ تَسْهَرِينِ

الآن والساعة تشير إلى التاسعة والنصف ولم يعد لي أمل في أن تجيئي
سأستعد وأخرج لتناول بعض الطعام. وإلى غد، أتمنى لك أمسية سعيدة ونوماً
هادئاً.

(1) أي بعد تناولك الغداء حسب التعبير الرباطي.

طهر الحب⁽¹⁾

وَبِحَ نَفْسِي هَلْ أَنَا كُنْتُ دَرِيًّا؟
أَنْظُرِي ثُمَّ أَنْظُرِي عَيْنِي مَلِيًّا
وَأَقْرَأِي ثُمَّ أَعِيدِيهَا عَلَيَّا
لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ حُبٍّ لَمْ يَدْعَ لِإِلَهِ شَيْئًا

إِطْمِئِنِّي، لَيْسَ فِي جِسْمِي مَكَانٌ لِلظَّاهِ
لَمْ يَعْذُ يَبْلُغُ مِنْ نَفْسِي مَدَاهُ
وَفِي قَلْبِي لَيْسَ مِنْ كُرْهِ سِوَاهُ
فَأَسْتَرِيحِي إِنَّ لِلْحُبِّ عَصَاهُ

أَنَا إِنْ كُنْتُ تُصَرِّينَ أَتَيْتُ
فَدَعِيَ الْحُبَّ يُرِينِي الْمُسْتَقِيمَ⁽²⁾

(1) كتبت هذه القصيدة في القاهرة بتاريخ 1960/10/21 الساعة 10.20 مساء.

(2) المقصود الطريق القويم.

فَلَهُ فِي قَبْضَةِ لَفْحِ جَحِيمٍ
وَفِي أُخْرَى نَفْحَةُ الْقَلْبِ الرَّحِيمِ

وَلَأْتِي - صَدِّقِي - لَسْتُ أُرِيدُ
غَيْرَ أَنْ نَزَعَدَ فِي عَيْشِ سَعِيدِ
صَدِّقِي يَا مُنْتَبِي لَسْتُ أَعُودُ
وَسَتَبْقَى كُلُّ أَيَّامِكِ عِيدِ

إِنِّي فِي الْحُبِّ لَنْ نَعْدُو الشِّفَاهُ
حَسْبُنَا مِنْ كَأْسِهِ طُهُرَ شَذَاهُ
وَإِذَا أَمْتَدَّتْ لَهُ أَيْدِي قَنَاهُ
فَلَنَا فِي الرُّوحِ تَفْجِيرُ هَدَاهُ

لَا تَقُولِي وَدَعِي عَنكِ السُّؤَالَ:
«إِنَّهُ قِيلَ ضَرْوَرِي لِلرِّجَالِ»
لَا يَهْمَنَّكَ مِنْ نَارِي أَشْتِعَالَ
إِنَّهُ لَنْ يَنْشَأَ رِجْسٌ أَوْ عَضَالَ

لَنْ أَتُورَ وَلَنْ آتِي فِعَالٌ
وَسَأَمُضِي تَلُو أَيَامَ لِيَالٍ
صَابِرًا لَنْ يَغْتَرِي حَيِّ الكَلَالِ
بَلْ سَيَزْدَادُ نُمُوءًا وَكَمَالٌ

لَا تَقُولِي إِنِّي قَدْ قَلْتُ: «جَلَوِي»⁽¹⁾
وَتُعِيدِيهَا وَفِي نَفْسِكَ نَشْوَى
إِنَّهَا دَغْدَغَةٌ تَمْ لَا تَلْبِثُ تُطْوَى
فَدَعِيهَا إِنَّهَا قَدْ تُصْبِحُ لَهْوًا

إِنَّمَا الحُبُّ جَلَاءٌ وَسَنَاءٌ
لِيَن لَه شَيْءٌ جَفَاءٌ
بِاسْمٍ فِي وَجْهِهِ كُلُّ صَفَاءٍ
عَالَمٍ مَهْمَا أَنْطَوَى فِيهِ أَلْحَفَاءُ

(1) جَلَوِي: حُلُوءًا.

فَدَعِيَ اللُّؤْمَ وَزَيْدِي فِي الْهَبَاتِ
إِنَّ فِي الْمَاضِي كَثِيراً مِنْ عِظَاتِ
وَأَقْرَبِي لَا تَبْخَلِي بِالْقُبُلَاتِ
إِنَّ فِي ضَمِّكَ إِحْيَاءَ الْمَوَاتِ

وهم رسم الحبيبة⁽¹⁾

أَرَى رَسْمَكَ الْبَاهِي أَرَاهُ مَعَانِيَا
أَرَى فِيهِ إِغْرَاءٌ أَرَى فِيهِ بَسْمَةً
أَرَى فِيهِ آمَالِي أَرَى فِيهِ حَاضِرِي
أَرَى فِيهِ صُبْحًا لِلدِّيَاجِي مُبَدِّدَا
أَرَى فِيهِ تَذَكِيرِي وَمَا كُنْتُ نَاسِيَا
أَرَى كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أَذَابَ فُؤَادِيَا

فَلِمَ يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ تَقْسُو تَبْرُمًا
عَهْدُتْكَ يَا حَبِيبِي تُسَامِحُ غَاطِي
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْفُو وَإِنْ عَن صَغِيرَةٍ
وَيَا وَيْحَ نَفْسِي مَا أَقُولُ وَإِنِّي
وَكَانَ جَدِيرًا أَنْ تَحِبَّ وَتَرْحَمَا؟
فَمَا لَكَ تُبْدِي الْيَوْمَ هَذَا التَّهْجُمَا؟
فَأَوْلَى بِقَلْبِي أَنْ يَعْشِشَ عَلَى ظَمَا
أُحِبُّ لِأَنْ أَحْيَا وَأَنْ أَتَنَعَّمَا

أَعُودُ إِلَى الرَّسْمِ الْجَمِيلِ فَلَا أَرَى
كَأَنَّكَ فِيهِ أَلْبَدُرُ يَوْمَ تَمَامِهِ
سِوَى كَلِمِ الْحُبِّ الْعَظِيمِ مُنْسَقَا
أَوْ النَّجْمِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ تَأَلَقَا

(1) كتبت هذه القصيدة في القاهرة يوم 15/11/1960 الساعة 11 مساء.

أَجُولُ بِطَرْفِي فِي ثَنَائَا سَطُورِهِ فَلَا أَرَى غَيْرَ الْحُسْنِ دُرًّا مُنَمَّقًا
إِذَا لَمَحْتُ عَيْنِي جَمَالَ لِحَاظِهِ تَصَاعَفَ شَوْقِي ثُمَّ زِدْتُ تَعَشُّقًا

مَدَدْتُ يَدِي أَبْغِي بِكَفَلِي قُبْلَةً عَسَى أَنْ يُزِيلَ اللَّمْسُ مِنْكَ تَبْرُمًا
وَأَذْنَيْتُ ثَغْرِي عَلَّ فِي ثَغْرِكَ النَّدِي يُعِيدُ بَرِيقًا أَوْ يُعِيدُ تَبْسُمًا
وَلَكِنِّي لَمْ أَدْرِ إِنْ كُنْتُ صَاحِبًا مِنْ النَّوْمِ أَمْ فِي النَّوْمِ كَانَتْ تَوْسُمًا
وَعُدْتُ إِلَى نَفْسِي وَلَمْ يَكُنِ الَّذِي رَأَيْتُ سِوَى وَهْمٍ بَدَأَ لِي مُجَسَّمًا

فَدَعُ عَنكَ يَا مُحَمَّدٌ⁽⁸⁾ كُلَّ مَلَامَةٍ وَتَقِ أَتَّ سِرَّ الْحُبِّ أَلَّا تُجَافِيَا
وَأَلَّا تُطِيلَ الْهَجْرَ مِنْ أَجْلِ هَفْوَةٍ وَأَنْ تَمْحُوَ الزَّلَّاتِ بِالْعَفْوِ رَاضِيَا
وَهَلْ كَانَ يَوْمًا حُبٌّ مَنْ عَرَفُوا الْهَوَى عَلَيَّ غَيْرِ فَسْحِ الصَّدْرِ دَوْمًا تَعَاضِيَا ؟
فَهَذَا هُوَ الْحُبُّ الصَّحِيحُ كَمَا أَرَى وَهَذَا الَّذِي يَسْقِيكَ مَاءَكَ صَافِيَا

(1) إشارة إلى اسم «حميدة».

هجران⁽¹⁾

هَجَرْتِ وَمَا تَدْرِينِ أُنِّي حَائِرٌ
وَعَقْلِي كَالْمَجْنُونِ أَصْبَحَ شَائِرًا
وَصَدْرِي عَدَا لَا يُسْتَكِينُ تَهْدًا
عَدَا كُلُّ عَيْشِي بَعْدَ هَجْرِكَ دَاجِنًا
لَقَدْ كُنْتُ أَسْلُو عِنْدَ قُرْبِكَ رَاضِيًا
وَمَا هُوَ إِلَّا بِضَعِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
تَمَنَيْتُ لَوْ يَرْقُبُ إِلَى جَفْنِي الْكَرَى
وَهَلْ يَخْلُمُ الْإِنْسَانُ فِي غَيْرِ نَوْمِهِ؟
أَجُولُ بِطَرْفِي لِأَرَى غَيْرَ صُورَةٍ
وَلَكِنَّهَا مِثْلَ السَّرَابِ إِذَا بَدَا
وَقَلْبِي مَهْمُومٌ وَمَا أَنَا صَابِرٌ
عَلَى كُلِّ مَا حَوْلِي وَفِكْرِي عَاقِرٌ
وَعَنْ سَبِيلِ دَمْعِي لَيْسَ تَهْدَا الْمَحَاجِرُ
وَأَصْحَتْ حَيَاتِي لَيْسَ إِلَّا الْأَعَاصِرُ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَسْلُو وَبُؤْسِي ذَاعِرُ
وَلَكِنَّهُ كَالدَّهْرِ وَاللَّهْرِ جَائِرٌ
فَأَنْعَمَ فِي حُلْمٍ وَتَأْتِي بِنَشَائِرِ
وَهَلْ تَرْقُدُ الْأَجْفَانُ وَهِيَ سَوَاهِرُ؟
تَبْسُمُهَا حُلُوٌّ وَتَغْرُهَا سَاحِرُ
لَهُ حُدَعٌ تُغْرِي وَفِيهِ مَظَاهِرُ

(1) كتبت هذه القصيدة في القاهرة يوم 12/12/1960، 11 مساء.

شُغِلتِ كَمَا أُدْرِي بِسُغْمِ جَمِيلَةٍ⁽¹⁾ وَفَارَقْتِ مَنْ أُضْحِي بِحُبِّكَ هَاتِرٍ
 لَعَلَّ الَّذِي أَعْيَا جَمِيلَةً نَزَلَةً وَلَكِنَّ دَائِي أَتَّ حُبِّكَ آسِرٍ
 فَلَيْسَ دَوَائِي فِي حُبُوبٍ وَحَقْنَةٍ وَلَكِنَّ دَوَائِي رَحْمَةٌ وَمَشَاعِرُ
 فَهَلَّا رَحِمْتَ الْقَلْبَ مِنْ دَائِهِ الَّذِي إِذَا غَابَ عَنْ جِسْمِي فِي الدَّهْنِ حَاصِرُ؟
 وَخَفَّفْتَ عَنِّي مَا أَحْسُ مِنَ الصَّنَا وَأَبْعَدْتَ عَنِّي مَا تُعِيدُ الْخَوَاطِرُ؟
 غَدًا يَنْتَهِي عُمْرِي وَيَنْفَى شَبَابُهُ وَيَسْرِي الَّذِي تُخْفِي عَلَيْنَا الْمَقَادِرُ
 وَتَدْبُلُ أَعْصَانِي وَمَا هُوَ زَاهِرٌ وَتَمْضِي اللَّيَالِي بِالَّذِي هُوَ نَاصِرُ
 وَيَوْمَئِذٍ نَهْفُو إِلَى الزَّمَنِ الَّذِي هَجَرْتَ وَحَيِّي فِي فُؤَادِي طَاهِرُ
 كَأَنِّي بِهَذَا الْيَوْمِ حَلَّ قَضَاؤُهُ فَلَيْسَ الْأَمْسَى يُجِدِّي وَلَا مَا أُحَاذِرُ
 فَإِنَّ أَنْتِ أَدْنَيْتِ الْوَصَالَ فَرَحْمَةً وَالْأَفْنَنْسِي لَيْسَ فِيهَا مَعْفَاةٌ

(1) جميلة الشياظمي صديقة لحميدة ورفيقتها في الغرفة بيت الطالبات.

أصحيح مات حبي؟⁽¹⁾

ذهبت إلى مطار «أورلي» مساء يوم الثلاثاء 20 فبراير بقصد التعرف على الحقيبة التي كانت ضاعت منك في الطائرة فتذكرت مساء الجمعة 9 فبراير حين سافرت إلى القاهرة، وعادت إلى ذهني لحظة الوداع فكانت هذه الخواطر التي لم أكن لأرسلها إليك لو أي توصلت بردود على الخطابات الأربعة التي كتبت لك منذ التحقت بالقاهرة:

لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ دَرْبِي

لَمْ يُجَاوِلْ طَرِيقَ قَلْبِي

لَسْتُ أَدْرِي

أَلِصَدِّ؟

أَمْ غُزُورٌ؟

أَمْ لِيُخْلِلَ لَمْ يَرْزُقِي؟

كُنْتُ أَحْيَا مَعَ نَفْسِي

وَلِنَفْسِي

(1) كتب هذا النص في باريس حيث كان الجراي في تلك الفترة، وأرسل منها يوم 1962/3/7.

فِي خِيَالِ وَبُؤْهِمْ
وَلَوْ خِدِي كُنْتُ دَوْمًا
مَعَ الْأَمِيِّ وَهَمِّي

وَلَكُمْ مَنِّيْتُ نَفْسِي
بِرَبِيعٍ لَيْسَ يَخْلُقُ
بَلْ لَكُمْ خَادَعْتُ نَفْسِي
أَنَّ شَمْسًا سَوْفَ تُشْرِقُ

حَارَ فِكْرِي
صَاقَ صَدْرِي
كُلُّ أَمَالِي تَمُوتُ
أَهْ مَا أَظْمَأَ قَلْبِي
لِشُعَاعٍ مِنْ سَنَاءِ
مِنْ سَنَا الْحَبِّ الْجَمِيلِ
لَيْتَ نُورًا مِنْ ضِيَاءِ
يَسْلُكُ الدَّرَبَ إِلَيْهِ

تُتَمَّ كَان

ذَاتَ يَوْمٍ... ذَاتَ لَحْظَةٍ

عِنْدَمَا دَقَّ وَحَلَّأً

بَعْدَمَا كَان خَيَالاً

بَلْ مُحَالاً

زَائِرًا يَغْلُو مُحْيَاهُ ضِيَاءَهُ وَجَلَالَ

يَفْرِشُ الْوَرْدَ وَيَدْعُو لِحَيَاةِ

كُلِّهَا وَدَّ وَصِدْقَ وَجَمَالَ

أَذْكُرِي كَمَ كَانَ حُلُوءاً

ذَلِكَ اللَّقِيَا السَّعِيدِ

كَيْفَ أَكْرَمْنَا قُدُومَهُ

كَيْفَ أَضْحَى يَوْمَ عِيدِ

لَمْ نَشَأْ يَسْكُنْ أَرْضاً... بَلْ مَكَاناً قُدُسِيَا

وَرَفَعْنَاهُ عَلَى الرَّأْسِ عَلِيَّاتِ

وَجَعَلْنَاهُ إِلَهًا

وَعَبَدْنَاهُ

تُؤْمَ مَاذَا ؟

آه مَا تَسْمَعُ أُذُنِي

تَاهَ فِي الْغَيْبِ وَرَاحَ

مَاتَ حَيِّي

مُثْقَلًا بِالصَّمْتِ أَغْيَاهُ الصُّبْحَ

مَاتَ طِفْلاً

لَمْ نَكُذْ نُكْمِلْ تَوْبَهُ

لَمْ نُنْمِمْ بَعْدَ عَشِّهِ

قَبْلَ أَنْ يَرْتَعَ... أَنْ نَنْعَمَ بِهِ

حُبْنَا الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ مَاتَ.

مَاتَ فِجَاءً

مَاتَ فِي ذَاكَ الْمَسَاءِ

عِنْدَمَا قُلْتِ: وَدَاعاً

وَتَصَنَعْتِ بُرُوداً... وَشَجَاعَةً

وَحَفَرْتِ الْقَبْرَ لِلطِّفْلِ بِأَطْفَارِ يَدَيْكَ

لَمْ تَزَلِ تَقْطُرُ مِنْ آثَارِ جِرَاحِ

سَوْفَ لَنْ يَمْتَصَّهَا حَتَّى التُّرَابِ
ثُمَّ قَلتْ: لَمْ يَعُدْ بَعْدُ سِوَى بَعْضِ ذِكْرِي

أَصِحِّحْ مَا تَ حُيِّي؟
أَصِحِّحْ مَا بَدَا يَطْرُقُ سَمْعِي... مَا أَرَى قُدَّامَ عَيْنِي؟
هَلْ صَنَعْتَ الْمَوْتَ حَقًّا؟

أَمْ تُرَانِي فِي خَيَالِ
أَمْ تُرَى حُلْمًا بِبَالِي؟
لَسْتُ أَدْرِي
لَمْ أَعُدْ أَعْرِفُ نَفْسِي

إِنْ يَكُنْ مَا تَ فَلِمَ لَأرِلْتُ أَحْيَا؟
وَسَنَاه ...

لِمَ لَأ زَالَ يُضِيءُ؟
لَا ...

إِنَّ فِي قَلْبِي نَبْضًا
وَفِي جِسْمِي كُلِّ دَفْءِ

إِنَّ فِي نَفْسِي شَوْقًا
لِلِقَاءِ مَعِ حَيِّي
غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ أَذْرِي
أَصِحِّحُ مَا تَحْيِي؟

انتظار عفو⁽¹⁾

أَهْفُو إِلَى وَضْلِهَا وَأَلْوَصَلْ أَخْتَارُ
 إِنِّي أَبْتُلِيْتُ بِهَا وَاللَّهِ أَكْرَمَنِي
 وَهَلْ أَطِيفُ فِرَاقًا وَهِيَ تَمْلِكُنِي
 يَهِيحُ بِي الشَّوْفُ لَا أَدْرِي لَهُ جِهَةٌ
 أَشْكُو الْبِعَادَ وَتَشْكُو مِنْ مُعَانَدَتِي
 تَا اللَّهُ مَا أَنْصَفْتَ وَالْعَدْلُ رَائِدُهَا⁽²⁾
 وَلَوْ دَرَسْتُ مَا أَقَابِي مِنْ تَنْكُرِهَا
 لَمَا جَفَنَتْنِي وَمَا صَنَّتْ بِبَسْمَتِهَا
 حَيِّي حَمِيدَةً حَقٌّ بَلْ حَقِيقَتُهُ
 نَادَتْ لَهُ قَلْبِي فَحَسَّ لَطْرُقِهِ
 إِنِّي خَصَصْتُهَا بِالْهَوَى وَمَحَضْتُهُ
 إِنِّي أَرَاهُ كَحَزْمَةِ مَحْفُوظَةٍ

وَالْحُبُّ فِي عُمُقِهِ لِلْوَجْدِ سَتَارُ
 وَإِنِّ بَدَا حَدِيثٌ مَتِي وَإِنْكَارُ
 وَفِي الْحَشَا مِنْ لَطَى حَيِّي لَهَا نَارُ؟
 وَكَيْفَ وَالنَّفْسُ تَخَنَاتُ وَتَذْكَارُ
 آهٍ لِحَالَتِنَا فَالْعَقْلُ يَخْتَارُ
 فَكَيْفَ لَوْ كَانَ مِنْهَا عَنْهُ إِذْبَارُ؟
 وَعَثْبُهَا وَهَوَى إِيْرَادُ وَإِضْدَارُ
 وَقَدْ تَرَفُّتُ وَدَمَعُ الْعَيْنِ مِذْرَارُ
 نَادَتْ بِهَا مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ أَفْدَارُ
 مُنْدُ الصَّبَا إِذْ بَدَتْ لِلْحُبِّ آثَارُ
 صِرْفًا لَهَا وَحَدِيثُ الْحُبِّ أَحْبَارُ
 وَمَصُونَةٌ، لَا قَاطِعَ عَدَّارُ

(1) كتبت هذه القصيدة بالرباط، عشية الثلاثاء 12/25/1984.

(2) بحكم أنها درست الحقوق وتمارس المحاماة.

إِنِّي لَمُعْتَرِفٌ بِالذَّنْبِ لَسْتُ أَرُدُّهُ
فَلْتَعْفِرَنَّ كَمَا عَهَدْتِ خِلَالَهَا
وَلْتَأْمُرَنَّ بِمَا تَشَاءُ أَمَا كَفَى
وَمَشِيئَةٍ فِي مَفْرَقِي تُدْلِي بِمَا
وَالْعَبَاءُ عِبَاءُ الدَّهْرِ هُمْ كُلُّهُ
فَلَنَنْعَمَنَّ بِحَيِّنَا وَبِأُسْرَةٍ
هَلْ يَنْفَعُنِي عِنْدِي لَهَا إِفْرَارُ؟
فَالْعَفْوُ شَيْمَةٌ مَنِ هُمْ أَحْرَارُ
جِسْمٌ عَلِيلٌ هَذِهِ الْإِضْرَارُ؟
فَرَضَ الزَّمَانُ وَسَاقَتِ الْأَكْدَارُ؟
إِلَّا الْبَيْنِي فَهَمَّ لَهُ اسْتِنْشَارُ؟
بَسْمَائِهَا فَلِنَدَاتِنَا الْأَزْهَارُ

المرتجى العفو بإصرار

عيدان⁽¹⁾

وَجَاءَ الْعِيدُ ... عِيدُكَ ... عِيدُ مِيلَادِ حُبِّنَا الْكَبِيرِ
وَمَعَهُ حَلٌّ عِيدٍ آخَرَ ... تَوَجَّ الشَّمْسُ الْأَبْرَكَ
طَرَقَ الْبَابَ هَذَا الْعِيدِ وَذَلِكَ
فَلَمْ يُجِبْ غَيْرَ دَمْعِ مُزْمِنِ حَزِينِ
لَقَدْ غَامَتِ السَّمَاءُ ... وَلَمْ تُشْرِقِ الشَّمْسُ
وَبَدَا وَجْهُ الْحَيَاةِ شَاحِبًا لَا نَضْرَةَ فِيهِ وَلَا بَهَاءَ
وَعَدَا الْمِنْظَارُ لَا يَكْشِفُ غَيْرَ الْقَتَامَةِ وَالْكَابَةِ وَالظُّمَّةِ
مَاءُ الْعَيْنِ لَا يَجِفُ وَهَيْبُ الصَّدْرِ يَحْرِقُ
مَا أَحَرَ الشُّوقَ إِلَى نَبْعِ الْحُبِّ الصَّافِي يَسْقِي سُلَافَ الْحَيَاةِ
لَتُنْبَعَثَ الرُّوحُ
وَيَبْسِمَ الْكَوْنُ
وَيُشْرِقَ النَّوْرُ
وَيَسْعَدَ الْقَلْبَانَ

(1) كتب هذا النص بتاريخ 1990/04/30.

فِي ظِلِّ حُبِّكَ
وَفِيءِ أَمْنِكَ
وَسَعَةِ صَدْرِكَ
وَصَدْحِ لَحْنِكَ
وَرَوْضِ ذِكْرِيَاتِكَ
وَشُعَاعِ الْأُفُقِ الْبَعِيدِ ... أَسِيرٌ نَحْوَهُ مَعَكَ.

غياب وشوق

بعد أن حلقت الطائرة المقلّة لـ«حميدة» في سفرها إلى كندا والولايات المتحدة لزيارة «عُلا» و«ألوف» و«محمد»⁽¹⁾، صباح يوم السبت 12 قعدة 1411هـ/ 1991-4-27، على الساعة 10.40، انتابني شعور غريب، كان مزيجاً من الوحشة والقلق، فقلت:

صَعَدَتْ تُحَلِّقُ فِي السَّمَاءِ أَرْزُوقُهَا وَيَدِي تُشِيرُ وَدَمْعُ عَيْنِي يَهْمُرُ
وَالْقَلْبُ يَخْفِقُ مِنْ جَوِّي لَوْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ رَدْلُكَ إِنَّهُ لَنْ يَضْطَبِرُ
شَهْرَابٍ مِنْ عُمْرِ الزَّمَانِ أَمَامَنَا وَلِلْحِظَةِ لَمْ تَمُضِ هَا أَنَا أَنْدَثُ
كَيْفَ السَّلْوُ عَنِ الَّتِي أَحْيَا بِهَا وَبِهَا أَكُوتُ وَفِي جَاهَا أَسْتَقِرُّ
بِيَدِي جَعَلْتُ الطَّيْرَ يَهْرُكُ عَشَّهُ وَأَنَا الَّذِي أَطْلَقْتُهُ فَلَأَسْتَعِرُ

(1) عُلا وألوف ومحمد، أبناء الشاعر.

أسائل حياء⁽¹⁾

بعد أن عدنا من المطار إلى بيت الحبيبة في الدار البيضاء، وقد غدا موحشا
بدونها... قلت:

أَسْأَلُ حَيِّيًا لَا مَرَّ يُجِيبُ وَأَرْقُبُ نَجْمَهَا لَكِنَّ يَغِيبُ
أُنَاجِي الدَّارَ أُذَكِّرُهَا اللَّيَالِي قَصَيْنَاهَا وَلَيْسَ بِهَا رَقِيبُ
لِقَاءٍ دَائِمٍ وَالْحُبُّ صَافٍ وَتَنَعَمُ فِي الْهَوَى مِنْهَا الْقُلُوبُ
نُسَاقُ كَأْسَ عَشَقٍ مُسْتَلَدِّ وَيَطْوِينَا الْعِنَاقُ فَتَسْتَطِيبُ
لَيَالِي كُلِّهَا أَنْسَى وَشَوْقُ وَدَفْنٌ وَالْجُوى جَمْرٌ هَيْبُ
تَبَدَّلَ كُلُّ مَا فِي الْكُؤُنِ حَتَّى بَدَا لِي لَا قَرِيبُ وَلَا حَبِيبُ

(1) كتبت هذه الأبيات يوم 27-4-1991.

وسمعت صوتك

كان أول تلفون لـ«حميدة» بعد سفرها إلى كندا والولايات المتحدة، ليلة الثلاثاء 15 شوال 1411هـ/30 أبريل 1991، الساعة الثالثة صباحاً، فكتبتُ:

وَسَمِعْتُ صَوْتَكِ عَبْرَ سَلَكِ الْهَاتِفِ فَأَفْتَرَّ تَغْرِي لَلْحَى كَالرَّاشِفِ
وَأَهْتَرَّ مِنْ طَرَبِ فُؤَادِي قَدْ عَدَا يَزُنُو لِصَعَلِكِ لَيْتَ لِي مِنْ كَاشِفِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ زِنَةِ جَرْسِهِ فَعَلَ الْحَدِيثِ عَلَى الْمُعْتَى الْوَاجِفِ

أحميدتي⁽¹⁾

وبعد أن طال به الشوق ولو إلى رؤيتها في المنام، كتب يقول:

أَحْمِيدَتِي شَهْرٌ مَضَى هَلْ تُسْعِفِينِ
لِأَبْوَحٍ فِي صَمْتِ الظَّلامِ يَضْمُنُنَا
إِنِّي وَرَبِّ الْعَرْشِ حُبْلِكِ غَامِرِي
أَخْلَصْتُ لَا أَرْضَى سِوَاهُ وَكَيْفَ لِي
السَّعْدُ يَمْلَأُنِي وَالْبَشْرُ يَفْعَمُنِي
وَالْعَفْوُ مِنْكَ إِذَا أَدْنَبْتُ عَاجِلُهُ
إِنِّي لَفِي لَهْفٍ وَالشَّوْقُ يَحْفَرُنِي
قَدْ طَالَ نَأْيُكُمْ عَنِّي مَتَى عَوْدُكُمْ
مَنْ بَرُورَةٍ فِي لَيْلِ أَخْلَامِي الْحَزِينِ؟
بِمَا تُرَى أُنْسِيتهِ أَمْ تُدَكِّرِينِ؟
أَحْيَا بِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ كُنْتُ الدَّفِينِ؟
أَرْضَى سِوَاهُ وَحَبْلُهُ دَوْمًا مَتِينِ؟
وَالنُّجْحُ فِي رُفْقَتِي إِذْ أَنْتِ تَبْتَهَجِينِ
يَمْحُو الْكِبَائِرَ قَوْلِي كَيْفَ تَغْتَفِرِينِ؟
إِلَى لِقَائِكِ فِي عَشِّ الْهَوَى وَبَنِينِ
حَتَّى يَعُودَ الَّذِي أُشْرِبْتُ عَبْرَ سِنِينِ؟

(1) صباح الأحد 19 ذي القعدة 1411هـ = 2 يونيو 1991.

إني وإياك⁽¹⁾

إِنِّي وَإِيَّاكَ يَا حَيِّي مَدَى الْأَبَدِ عَشَّقُ سَعِدْنَا بِهِ مِنْ نِعْمَةِ الصَّمَدِ
وَالْكُلُّ يَعْرِفُ أَنَّا مُنْذُ صَبَوْتَنَا لَمْ نَعْتَرَفْ لِحَظَّةِ كَالرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
وَالْيَوْمَ أَمْسَيْتُ وَخَدِي فِي لَفَى كَمَدِي يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ فِي لَحْدِ

(1) يقول الشاعر حول مناسبة هذه الأبيات: قلت هذه الأبيات وأنا في الطائرة من البيضاء إلى وجدة (لمناقشة رسالة ذ.محمد قاسمي)، مساء الأحد 3 ذي الحجة 1411 هـ = 16 يونيو 1991، بعد أن تناولت - وريم - الغداء [ريم ابنة الشاعر] في بيت خالها السيد محمد الصائغ، وكان الكل يستغرب إذ لم يعتادوا رؤيتي بدون «حميدة».

العيد أقبِل⁽¹⁾

العِيدُ أَقْبَلَ فِي سَمَا لَمْ تُشْرِقِ كَيْفَ أَبْتَهَاجِي إِنْ نَا لَرُ نَلْتَمِي
الْجُؤُ فِي ظُلْمٍ وَالنَّفْسُ فِي كَدَرٍ وَالْقَلْبُ مُنْفَطِرٌ وَالْعَيْنُ فِي أَرْقِ
وَ(الْكَبْشُ) فِي حَزَنِ يَزُونُ لِصَاحِبِهِ⁽²⁾ يَزْنِي بِنَظَرَتِهِ وَالذَّمْعُ فِي أَلْقِ
قَدْ أَوْحَشَ الْبَيْتُ مِنْ بَعْدِ الْحَبِيبِ خَلَا مِمَّنْ تَعَوَّدْتُ أَنْ كَأْسَ الْهَوَى يَسْتَقِي

(1) أبيات قتلها صباح الأحد عشر ذي الحجة 1411هـ = 23 يونيو 1991، قبل نحر الأضحية.
(2) المقصود به الكبش الثاني إذ تعودت الأسرة ذبح أضحيتين.

متى يكون وصول الحبيبة أفي يوم السبت أم الأحد؟⁽¹⁾

أَعَدًّا أَلْقَاكَ أُمُّ بَعْدَ عَدِّ ؟ يَوْمَ سَبْتٍ أُمُّ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ؟
لِمَ لَا الْيَوْمَ ؟ فَإِنِّي لَمْ أَعُدْ لِأَطِيقَ الصَّبْرَ ! قُولُوا مَوْعِدِي
هَذِهِ اللَّحْظَةَ، مَا أَسْعَدَنِي بِأَحْتِمَالِ الْجُمْرِ فَوْقَ الْمُوقِدِ
فَأَنَا فِي لَهْفٍ مِنْ شَوْقِهَا كَبِيدِي مِنْ بَعْدِهَا لَمْ تَبْرُدِ
وَأَنَا الْوَلَهَاتُ فِي بَيْدِ الصَّنَا وَأَنَا الْهَائِمُ أَنْيْ أَهْتَدِي
وَأَنَا بِالسُّقْمِ عَانَيْتُ الرَّدَى وَأَنَا الظَّامِي لِقُرْبِ الْمُورِدِ
فَمَتَى الْوَصْلُ أَجِيئُوا رَاجِعًا ذَلِكَ لِي يَوْمٌ جَدِيدُ الْمَوْلِدِ

(1) كتبت هذه المقطوعة، مساء الجمعة 15 ذي الحجة 1411هـ = 28 يونيو 1991م.

إليك هديتي⁽¹⁾

إلى حميدتي الحبيبة في ذكرى ميلادها المشرقة:

إِلَيْكَ هَدَيْتِي ذَوْبَاتِ قَلْبِي أُعَيِّرُ عَيْزَهُ عَنْ بَعْضِ حُبِّي
وَلَوْ كُلُّ الدُّنْيَا جُمِعَتْ لَكَانَتْ أَقَلَّ مِنَ الْمُنَى إِذْ حُزَّتِ لُبِّي

(1) الرباط، صباح الاثنين 16 شوال 1412هـ = 20 أبريل 1992.

في يوم عيدك⁽¹⁾

وكتب مهنأ «حميدة» بذكرى عيد مولدها سنة 1993:

فِي يَوْمِ عِيدِكَ يَا حَمِيدَ تَهَانِي قُبَلَاتِهَا سَكْرَى عِدَابٍ بَلَسَمُ
لَوْ يَنْقُضِي عُمُرَ الزَّمَانِ جَمِيعُهُ ظَلَّتْ لِحُبِّكَ جَذْوَةٌ تَتَصَرَّمُ

(1) الهرهوري (ضاحية الرباط)، يوم الثلاثاء 28 شوال 1413 هـ الموافق 20 أبريل 1993.

وَعَاتَبْتَنِي⁽¹⁾

وكتب إليها بعد عتاب:

وَعَاتَبْتَنِي إِذْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ مُخْطِئاً وَلَكِنْ يَقِينِي أَنَّ عَفْوَكَ دَائِمٌ
فَلِإِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي تَحْفَظِينَهُ وَإِنِّي مَدَى عُمْرِي مُحِبٌّ مُسَالِمٌ

(1) كان ذلك يوم الجمعة 5 صفر 1415هـ = 15 يوليو 1994م.

وطوق زانه⁽¹⁾

قدم الشاعر هدية لـ«حميدة» مشفوعة بهذين البيتين:

وَطَوْقُ زَانَهُ جِيدُ الْحَبِيبَةِ وَمَا إِهْدَاءُهُ إِلَّا رَغِيبَةٌ
وَلِلذِّكْرِى حَمِيدَةٌ فِي غَلَاءٍ يَزِيدُ مَعَ السِّنِّينِ بِلَا وَجِيبَةٍ

(1) يوم الأحد 20 أبريل 2003.

طال الفراق⁽¹⁾

كتب الشاعر هذه المقطوعة يخاطب «حميدة»، وهو في الطائرة، عائدا من الأردن إلى أرض الوطن:

طالَ الْفِرَاقُ وَزَادَتْ الْأَشْوَاقُ وَالْقَلْبُ مُرَقِّقٌ وَالْدَّمُوعُ تُرَاقِقُ
أَيُّ الْوِصَالِ وَأَيُّ مِجْيِ قُرْبِهِ وَالْبُعْدُ فِي «عَمَّانَ» لَيْسَ يُطَاقُ
مَا ذُقْتُ طَعْمَ النَّوْمِ طَيْلَةً مَكْتَنِهِ فَمَتَى يَزُولُ وَيُسْتَعَادُ مَذَاقُ
لَهْفِي عَلَيْكَ حَمِيدَتِي قُرْبَ اللَّقَا وَأَنَا إِلَيْكَ بِلَوْعَتِي مُشْتَاقُ
فَالطَّائِرُ الْمَيْمُوتُ حَلَّقَ مُسْرِعاً لِكَيْتَهُ بِالْبُطْءِ سَارَ يُسَاقُ

(1) كتبت هذه القصيدة في عمَّان (الأردن)، يوم الأربعاء 17 رمضان 1424هـ الموافق 13 نونبر 2003م.

وَهُمُ الْحَبِيبَةُ (1)

قَالَتْ وَفِي نَظَرَاتِهَا شَكٌّ وَرَيْبَةٌ وَالْعَيْنُ تُدْرِفُ وَالذُّمُوعُ سَكِيبَةٌ:
هَلْ مَا يَزَالُ لَدَيْكَ مَا عَهْدِي بِهِ مِنْ حُبِّنَا صَفُوعاً؟ أَلَزِلْتُ الْحَبِيبَةَ؟
أَيْنَ الْوَفَاءُ؟ أَهوَ بَاقٍ صَادِقٌ؟ أَمْ قَدْ تَصَرَّمْتُ إِذْ تَصَرَّمَتِ الشَّيْبَةَ؟
وَمَصَّتْ سِنُو عُمْرِي بِحُبِّكَ تَزْدَهِي وَالْآنَ تَبْدُو بِالذُّبُولِ كَيْبَةَ
وَأَنَا الَّتِي مَا عَشِثُ إِلَّا فِي هَوَا لَكَ بِهِ تَحْدِيثُ الْبَعِيدَةِ وَالْقَرِيبَةَ
أَفْنَيْتُ أَيَّامِي وَنُصْرَةَ زَهْرِهَا وَأَجْتَرَّتْ كَمْ هَوْلٍ عَرَا وَمُصِيبَةَ
أُتْرَى زَمَانِي قَدْ تَغَيَّرَ أَمْ تُرَى مِنْكَ التَّغْيِيرُ فَاسْتَحَلْتُ غَرِيبَةَ؟
قُلْ لِي بِرَبِّكَ إِنِّي فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا، قُلْ لِي: أَلَزِلْتُ الْحَبِيبَةَ؟

فَأَجْبَتْهَا وَالْقَلْبُ مُعْتَصِراً تَمَزَّقَهُ مَقَالَتْهَا الْمُرِيبَةَ:
أَوْ مَا دَرَيْتِ بِأَنِّي عُمْرِي فَدِي تُلِي يَا حَمِيدَةَ يَا رَفِيقَتِي اللَّيْبَةَ
يَا صِنُورُ رُوحِي وَالَّتِي كُلُّ الْحَيَا لِحِبِّهَا أَمْسَتْ سَلِيبَةَ
كُنِّي الْمَلَامَ وَكَفَّفَنِي غَالِي الدُّمُو عِ فَانَّتِ وَحَدَكِ لِي الْقَرِينَةَ وَالْقَرِيبَةَ

(1) في الطائفة، يوم الأحد 16 نونبر 2003.

وَدَعِيَ الشُّكُوكَ وَمَا وَهَمْتَ فَأَنْتَ قَدْ
كُنْتَ الدَّوَاءَ لِدَاءِ أَيَّامِ عَصِيْبَةٍ
قَدْ كُنْتَ لِي دِرْعَ الْوَقَاءِ وَكَمْ
رَدَدْتَ عَنِّي مَضْرَاتٍ رَهِيْبَةٍ
مَا لِي سِوَالِكَ وَإِنِّي لَوْلَاكَ مَا
دُقْتُ الْحَيَاةَ سَعِيْدَةً وَرَحِيْبَةً
فَلْتَبْسِمِي فَأَنَا الْمَحْبُوبَةُ
وَلَأَنْتَ وَحْدَكَ لِي الْحَلِيْلَةُ وَالْحَيِيْبَةُ

الحب دائي والدواء⁽¹⁾

قال مخاطباً حميدة:

قَالَتْ وَدَمْعُ الْعَيْنِ تَدْرِفُهُ قَطْرًا
«الْحُبُّ دَائِي وَالِدَوَاءُ أَمَا تَرَى
فَأَجِبْنِيهَا: «إِنِّي - حَمِيدَةٌ - لَا أَرَى
وَلَأَنْتِ لِي وَعَلَى الدَّوَامِ حَقِيقَتِي
فِيهَا أَعِيشُ وَدَوَمَهَا أَنَا قَدْ أَدُو
مَا كُنْتُ لَوْلَا أَنَّي بِمُدَامَةٍ
فَلْتَهْدِي - حَيِّي - وَكُونِي لِلدَّوَا
وَبِإِذْنِ رَبِّي فَالْشِّفَاءُ مُحَقَّقٌ
فِيحِينَا نَجْتَارُ كُلَّ مُبَاهَةٍ
فَالْحُبُّ حَبْلٌ لِلنَّجَاةِ وَإِنَّا
وَأَلْقَلْبُ مُعْتَصِرًا يُمَزِّقُهَا صَبْرًا
حَالِي وَإِنِّي لِلدَّوَاءِ أَرْدُ قَهْرًا»
إِلَّا كُنْتُ لِي الْمَسْرَّةَ وَالْخَيْرَا
وَالرُّوحَ، فَلْتَهْنِي وَكُونِي لِي الْبُشْرَى
قُلْ لِي أَلْحِيَاةً بِحُلُوهَا الْمُرَا
مِنْ «حَمْدِي أَحْيَا وَأَسْتَرْجِعُ الذِّكْرَى
ءِ مُسِيَعَةً مَهْمَا تَرَى، مَذَاقَهُ مُرَا
وَمُقَدَّرٌ كَالدَّاءِ فَأَحْتَمِلِي الْأَمْرَا
وَنُوجَاهُ الْأَعْسَارَ نَقْلِبُهَا يُسْرَا
إِنْ نَعْتَصِمَ بِالْحَبِّ شَدَّ لَنَا أَرْزَا»

(1) كتبها يوم الثلاثاء 10 محرم 1425 هـ = 2 مارس 2004 م.

لا شيء غير الحب⁽¹⁾

وكتب مخاطبا حميدة وداعيا لها بالشفاء:

لَا شَيْءَ غَيْرِ الْحُبِّ هُوَ هَدِيَّتِي فِي يَوْمِ عِيدِكِ - بِالشِّفَاءِ - حَمِيدَتِي

(1) الثلاثاء 29 صفر الخير 1425هـ = 20 أبريل 2004م.

صَبَاحُ الْخَيْرِ مِنْ وَرَزَاتٍ (1)

أَتَدْرِيسُ كَمْ شَوْقِي إِلَيْكَ يَزِيدُ
سَوَاءً بِقُرْبٍ يَا حَمِيدَةَ أَكْتُوِي
فَفِي الْقُرْبِ لَا أَشْفِي مِنْ أَحَبِّ لَوْعَتِي
وَفِي وَرَزَاتِ الْيَوْمِ أَشْعُرُ أَنْبِي
يُؤَزِّقُنِي حِينًا وَحِينًا يُصِيبُنِي
فَلَا تَقْلِقِي أَوْ تَعْصِي مَثَلًا بَدَا
كَأَنِّي بِهِ، كَالرُّمْحِ يَطْعُرُ مُهَجَّتِي
يَمَزِّقُ قَلْبِي لَا أَرَى لَهُ مَخْرَجًا
فَفِي حِصْنِ مَا عَوَّدْتَنِي تُنْعِشِينِي
فَهَلْ تَقْبَلِينَ الْعُدْرَةَ إِنْ غَبْتُ مُكْرَهًا
فَمَا هُوَ إِلَّا بَعْضُ مَا أَلْتِظِي بِهِ
وَإِنِّي عَلَى عَهْدِي أَظُنُّ قَبُولَهُ
وَكَيفَ أَلْهَوَى يُبْدِي مَعِي وَيُعِيدُ؟
أَوْ التَّاعُ إِذْ أَنْبِي لِحِينٍ بَعِيدُ
وَفِي الْبُعْدِ إِشْعَالُ اللَّهَبِ مَدِيدُ
أُعَانِي شَقَاءَ النَّأْيِ لَيْسَ يَحِيدُ
بِأَصْعَاقِ حُلْمٍ وَقَعُهُ شَدِيدُ
عَلَيْكَ وَنَبْرُ الْهَنْبِ مِثْلِكَ حَدِيدُ
وَيُسْقِمُنِي، يُدْمِي الْفُؤَادَ يُبِيدُ
سِوَى الْعُودِ لَا يَخْفَى فَهُوَ حَمِيدُ
فَأَنْبِي بِهِ وَالْقُرْبِ مِثْلِكَ سَعِيدُ
فَمَالِي إِلَى مَا تَبْتَعِينَ، فَصِيدُ
مَتَى الْبُوحُ بِالنَّجْوَى إِلَيْكَ يُفِيدُ؟
فَقَلْبُكَ فِي أَلْعَفِ الصَّفِيِّ فَرِيدُ

(1) ورزات، صباح يوم الخميس 16 ذي الحجة 1425 هـ الموافق 27 يناير 2005 م.

وَهَازِي لِرُمزِ الشُّوقِ مِثِّي هَدِيَّةٌ لِذِكْرِي غِيَابٍ، شَاهِدٌ وَشَهِيدُ
عَمَى تَلْقَيْتُ فِيهَا دَلِيلَ صَبَابَةٍ وَعُزُوبٌ عِشْقٍ لَا يَزَالُ يَزِيدُ

مِن وَحْيِ الْكَابُونَ⁽¹⁾

وَأَسْعَدَنِي الْحُلْمَ فِي لَيْلَتِي بِرُؤْيَا حَمِيدَتِي يَا فَرْحَتِي⁽²⁾
فَكَانَ بِضِعْغِ مَضَى وَأَنْقَضَى لِأَنْدَبِ فِي الصُّبْحِ: يَا وَيْلَتِي

(1) قام جلالة الملك محمد السادس نصره الله سنة 2005 برحلة إلى بعض الدول الإفريقية، وكان عباس الجراري، مستشار جلالتة، ضمن الوفد الرسمي المرافق. ومن أعماق إفريقيا كتب الجراري قصائد ومقطعات ونتاجاً شعرياً، يخاطب زوجته حميدة.

(2) كُتِبَ البيتان في ليبروفيل، فندق كونتنتال، صباح الأربعاء 14 محرم 1426 هـ 23 فبراير 2005.

عجبت لمن أبدى⁽¹⁾

قال وهو في الكابون:

عَجِبْتُ لِمَنْ أَبْدَى لِسُودَاءَ عَشْقِهِ يَظُنُّ بِهَا خَالاً تَعَمَّمُ فِي الْجِسْمِ
وَمَا أَلْخَالُ إِلَّا نُقْطَةٌ بِمَلَاخَةٍ تَزِينُ بِيَاضِ الْوَجْهِ عِنْدَ ذَوِي أَلْفِهِمِ

سود الوجوه ...

ومع ذلك:

سُودُ الْوُجُوهِ وَطَيِّبَةٌ فِي الْمَعْشَرِ وَالْقَلْبُ أَيْضُ عَكْسِ ذَلِكَ الْمَظْهَرِ
وَالْبَسْمَةُ الْغَرَاءُ تَكْشِفُ حُسْنَهُمْ وَالْدُرُّ فِي فِهِمْ كَعَقْدِ الْجَوْهَرِ

(1) مساء الخميس 15 محرم 1436هـ - 24 فبراير 2005م.

من الكابون⁽¹⁾

وقال بعد أن طال الشوق:

مِن «الْكَابُونِ» أَبْعَثْ ذَا الْخِطَابَا عَسَى حَبِيبِي يَرُدُّ لِي الْجَوَابَا
أُحْتَمِنُهُ الْمَشَاعِرَ وَالشَّحَايَا وَأَشْوَاقاً تُؤَجِّجُهُ أَلْتِهَابَا
إِلَى مَنْ فِي الْحُشَا أُضْحِثُ شُعَاعاً يُبِيرُ إِذَا الظَّلَامُ غَدَا أَكْتِئَابَا
وَهَلْ غَيْرُ الظَّلَامِ لَهُ وَجُودٌ بِهِذَا الرَّبْعِ أَمْ رَمَتِ السَّرَابَا
سَوَادٌ فِي الْوُجُوهِ إِذَا تَرَاهَا وَفِي الْأَفَاقِ يَمْلَأُهَا سَحَابَا
وَقَلْبِي لِلْحَبِيبَةِ فِي تَلْظِ إِلَيْكَ حَمِيدَتِي يَنْغِي إِيَابَا

(1) مساء السبت 17 محرم 1426هـ = 26 فبراير 2005م.

اعتراف⁽¹⁾

أَعَابُ نَفْسِي إِذْ عَصَيْتُ لَهَا أَمْرًا بِقَوْلِهَا: لَا تَرْحَلْ وَكَانَتْ هِيَ الْأَذْرَى
فَمَا كَانَتْ ظَنِّي أَنْ يَطُولَ مَقَامُنَا بِسَبْعِ لَيَالٍ فِي «الْكَبُونِ» كَمَا الْأَشْرَى
فَشِدَّةُ حَرِّ مَعَ رُطُوبَةِ جَوِّهَا يُضَافُ لَهَا أَلْتَامُوسُ يَمْنَعُ أَنْ تَقْرَأَ
وَيَمْنَعُ عَنِ عَيْنِي الْمَنَامَ بِغَمُضَةٍ كَذَلِكَ خُرُوجًا لِلتَّفْسُحِ بِالْأُخْرَى
وَهَا نَحْنُ أُخْبِرُنَا بِأَنَّ أَنْتَقَلْنَا إِلَى «بُورْكِينَا» فَوْرًا يُخَفِّفُ ذَا الْأَمْرَا

(1) الكابون، صباح الإثنين 19 محرم 1426هـ = 28 فبراير 2005م.

في بوركينافاصو⁽¹⁾

هَاقِدْ حَلَلْنَا بِبُورِكِينَا بَعْدَ الْكُبُوثِ وَبُسُو فَيْتِيلَ⁽²⁾ مُقَامَنَا لَوْ تَعَامُوثِ
حَتَّى الْمَلِيكُ هُنَا يُقِيمُ وَصَحْبُهُ فِي تَامِنِ الْأَدْوَارِ يَا نِعْمَ الرَّبُوثِ
عُرْفُ كَشِبِهِ زَنَازِ أَزْكَائِهَا سَكْنَى الْبُعُوضِ مُقَاوِمًا كُلَّ الدُّهُوثِ
حَرٌّ شَدِيدٌ وَالرُّطُوبَةُ مِثْلُهُ وَعَنِ الْبُعُوضِ فَلَا تَسَلْ وَسَلِ الْعُيُونُ
يَقْطِي طَوَالَ اللَّيْلِ لَيْسَ لِعَمَضِهَا أَبْدَأَ سَبِيلَ يُرْتَجَى يَا لِلْجُنُوثِ

وقال بعد أبيات وصف فيها هذا الوضع:

شَعْبٌ كَرِيمٌ طَيْبٌ بِسَمَائِهِ تُنْسِي الْعَرِيبَ بِصِدْقِهَا كُلَّ الشُّجُوثِ
تُنْسِي مَتَاعِبَ مَا لَقِينَا فَجَاءَهُ عِنْدَ الْحُلُولِ بِفُنْدُقِ أَصْحَثِ مَهُونِ
حُبُّ الْمَلِيكِ شَرِيعَةٌ فِي قَلْبِهِ كَالدِّينِ فَهُوَ لَهَا بِفَخْرٍ قَدْ يَصُوثِ
فِي كُلِّ أَوْطَانِ الْأَفَارِقِ نَشْوَةٌ بِالْحَبِّ لِلْأَقْصَى⁽³⁾ دَوَامًا لَا تَحُونُ

(1) واکادوکو - بورکینافاصو - فجر الثلاثاء فاتح مارس 2005م.

(2) إسم الفندق.

(3) المقصود المغرب الأقصى.

ثم قال:

لَوْلَا بَصِيصٌ مِنْ ضِيَاءِ قَدْ بَدَا
لَأُرَاكَ يَا أَبْهَى الْمَلَأَحِ حَمِيدَتِي
إِلَّا لَتَزْدَادِي فِي الشَّعَافِ مَحَبَّةً
شَوْقِي إِلَيْكَ بِذِي الدِّيَارِ وَغَيْرِهَا
فَمَتَى نِهَائِي غُرْبَتِي وَمَتَى أَعُودُ؟
نُورًا أَشَعَّ مِنْ الْوَسَامَةِ وَالْفُتُونِ
يَوْمِي كَمَا أَمْسَى فَمَا مَصَنَتِ السُّنُونُ
وَيَزِيدُ شَوْقِي لَا تُصَيِّعُهُ الْمُنُونُ
كَلْهَيْبِ جَمْرٍ وَسَطِ نِيرَانِ الْأَثُونِ
وَيَكُونُ لِي فِي حَضْرِي جِي مَا يَكُونُ

وفي «دكار» عاصمة السنغال⁽¹⁾

قديماً قال الشاعر العربي:

إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ يَزِيدُ شَوْقِي وَلَا سِيَمًا إِذَا بَدَتِ الحَيَامُ
وقال:

وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

أما أنا فأقول وقد جربت في هذه الرحلة الإفريقية⁽²⁾ الطويلة معاناة البعد ثم الاقتراب:

شَوْقِي إِلَيْكَ حَمِيدِي يَتَلَهَّبُ فَالْأَرْضُ تُطَوَى وَاللِّقَاءُ يَتَقَرَّبُ
مِنْ قَبْلِ فِي الكَابُونِ وَالْفَاصُو غَدَثٌ أَيَّامَ عَشْرِ بِالصَّنَا تَتَصَبَّبُ
وَالْيَوْمَ فِي السِّنْغَالِ أَشْعُرُ أَنَّي إِلَى أَمَلِ أَرْتَادُهُ أَتَاهَبُ

(1) كتبت هذه القصيدة بدكار (السنغال) مساء الأربعاء 21 محرم 1426هـ - الموافق 3 مارس 2005م بالفندق على الساعة 11 ليلاً.

(2) إشارة إلى مصاحبة جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، في رحلة إلى بعض الدول الإفريقية (الكابون، بوركينافاسو، السنغال).

نَحْوَ الْحَبِيبِ دَنْتَ مَسَافَاتٍ بَدَتْ
فُزِبَ يُضَاعَفُ لَوْعَتِي وَصَبَابَتِي
كَيْفَ التَّغَلُّبُ وَهُوَ يَنْخُرُ مُهَجَّتِي
كَالْجُمْرِ تَلْتَأُ الْفُؤَادَ مَشَاعِرِي
هَلْ يَا تُرَى أَرْجُو النَّسِيمَ مُبْلَغًا
بِالْحُبِّ وَالْأَشْوَاقِ وَالْوَدِّ الَّذِي
وَالْعَهْدُ سَارٍ بِالْوَفَاءِ مُصَمَّحًا
بِالْأَمْسِ لَا تُحْصَى وَلَا هِيَ تُحْسَبُ
وَيَزِيدُنِي شَغْفًا فَلَا أَتَغَلَّبُ
شَوْقًا إِلَى اللُّقْيَا الَّتِي أَتَرَقَّبُ؟
حَتَّى كَأَنِّي فِي اللَّظَى أَتَقَلَّبُ
صَوَّبَ الرِّبَاطِ رِسَالَةً لَا تُكْتَسَبُ؟
بَيْنِي وَبَيْنَ حَمِيدَتِي لَا يَنْصُبُ
يُحْظَى الْأَمَانَةَ بِالرِّعَايَةِ تُطَلَّبُ

قالوا المقام⁽¹⁾

قَالُوا الْمَقَامُ هُنَا يَطِيبُ أَوْ مَا تَرَى، لِمَ لَا تُجِيبُ؟
الْجَوُّ مُغْتَدِلٌ كَذَا لَكَ الْأَكْلُ لَيْسَ بِهِ مَعِيبُ
وَالنَّوْمُ فِي عُرْفٍ وَتِي فَرُشَهَا لَا مَا يُرِيبُ
فَأَجَبْتُهُمْ أَنِّي هُنَا أَبْتغَى وَأَشْعُرُ كَالْغَرِيبُ
فَأَلْفَكُرُ مَتِي بِالرَّبَا طِ مَعْلَقٌ بِهَوَى النَّسِيبُ
وَأَلْقَلْبُ مَتِي قَدْ تَفَطَّرَ بِالْحَيْنِ إِلَى الْحَيْبِ
وَالصِّيْقُ مَتِي بِالْمَقَا مَ غَدَا يُورِّقُنِي يُذِيبُ
وَالشَّوْقُ يُهْكِنِي لِرُؤُ يَةً مَنْ بِيْذَهْنِي لَا تَعِيبُ
حَتَّى الْهَتَافُ يَزِيدُنِي شَعْفًا وَيُشْعِلُ بِي اللَّهْيَبُ
اللَّهُ لِي إِثْنٌ لَمْ أَلَا قِ حَمِيدَتِي عَمَّا قَرِيبُ

(1) دكار- فندق الميرديان بعد ظهر الجمعة 23 محرم 1426هـ = 4 مارس 2005، وقد ختم برنامج الزيارة للسغال بأداء صلاة الجمعة، ولم يبق إلا انتظار يوم الرحيل، مع توقف بنواكشوط التي قد نقضي بها ليلة قبل العودة للرباط.

ليت المسافة تطوى⁽¹⁾

لَيْتَ الْمَسَافَةَ تُطَوِّي لِي وَتُخْتَصِرُ فَأَرَى هُنَاكَ جَمَالَهَا يُتَصَوَّرُ
الشَّعْرُ فِي نَسَقٍ وَالْوَجْهُ فِي أَلْقِي وَالْجِسْمُ فِي تَوْبِهِ التَّجْرِيدَ يُنْتَظَرُ
بِالْأَمْسِ قَدْ أَخْبَرْتُ عَنْ ذَا مُشَوِّقَةٍ عَسَى أَعْجَلَ فِي أَوْبِي أَوْ اضْطَبِرُ
لِكِنِّي فِي دِيَارِ الْبُعْدِ وَالْأَسْفِي لَوْ أَسْتَطِيعُ كَمَا أَبْغِي وَأَقْتَدِرُ
لَكُنْتُ مُحْتَضِنًا فِي ذَا الصَّبَاحِ لَهَا وَفُقِّ الَّذِي أَشْتَهِي مِنْهَا فَلَا أَدُرُ
وَأَشْفِي مِنْ لَوْعَتِي نَارًا تَأْجُّ فِي قَلْبِي الشَّقِي بِمَا يَبْدُو وَيَسْتَبِرُ

(1) صباح السبت 24 محرم 1426هـ الموافق 5 مارس 2005 بعد أن كانت أخبرني حميدة مساء أمس أنها في هذا الصباح ستستحم وتصف شعرها وتجمل.

من الذّكار رحيلنا⁽¹⁾

مِنَ الذَّكَارِ رَحِيلُنَا يَتَأَكَّدُ حَتَّىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ سَوْفَ يُحَدِّدُ
إِنَّ الْحَقَائِبَ مَطْلُوبٌ تَجْمَعُهَا فِي الْمَوْعِدِ الْمَطْلُوبِ لَيْسَ يُمَدِّدُ
إِذْ فِي غَدِّ الصُّبْحِ نَحْوِ الْمَوْرَتَا نِ تَوَجُّهُ مَا لَمْ يَتِمَّ تَفْنَدُ
فَهِنَاكَ بَعْدَ مَبِيتِ لَيْلٍ وَاحِدٍ يَبْدُو الرِّبَاطُ بِهِ الْقَلْبُ مَقْيَدُ
فَمَتَى الْوُصُولُ إِلَى اللَّقْيَا وَمَنْ نَذَرْتُ لِلْحُبِّ طَاقَاتٍ بِهِ يَتَجَدَّدُ
تُوَاصِلُ عِشْتِي رَغْمَ كُلِّ تَغْيِي وَتُعْرِفُنِي أَفْضَالَهَا لَا تُعَدِّدُ
حَمِيدَةٌ بِالْأَشْوَاقِ تُلْهَبُ مُهْجَتِي لَوْضِلَ بِهِ حُزْنِي يَرَى يَبْدَدُ

(1) في مدينة دكار في السينغال، مساء يوم الأحد محرم 1426هـ الموافق 6 مارس 2005، الساعة التاسعة مساءً.

وفي نواكشوط بموريتانيا⁽¹⁾

وَفِي مُورِيَتَاتِ التُّوقِ بِالشَّطِّ تَرْتَعُ هُنَاكَ مَعَ الْعِزْلَانِ لِلْحَبِّ تَشْفَعُ
تَرَى أَنَّهُ فِي الْبُعْدِ طَالَ غِيَابُهُ فَتَرْتَبِي لَهُ بِالشَّعْرِ وَالْعَيْتِ تَدْمَعُ
تُرْجِي لَهُ عَوْدًا حَمِيدًا لَوَكْرِهِ بِحَيِّ رِيَاضٍ مَعَ حَمِيدَةٍ يَجْمَعُ
وَفِي حِضْنِهَا يَشْفِي غَلِيلَ أَشْتِيَاقِهِ يُرْوِي الظَّمَا مِنْهَا يُعْبُّ وَيَكْرَعُ
وَيُطْفِئُ نَارًا بِاللَّهْيَبِ تَأْبَجْثُ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْجُمْرُ بِالْعِشْقِ يَلْسَعُ

(1) صباح الثلاثاء محرم 1426 هـ الموافق 8 مارس 2005، في فندق نوفوتيل NOVOTEL، على الساعة الثامنة، قبل مغادرة موريتانيا إلى الرباط بساعات قليلة.

العيد عيدان في مكناس⁽¹⁾

الْيَوْمَ عِيدُكَ ثُمَّ عِيدُ الْمُصْطَفَى
لَلْقَا الْحَبِيبَةَ وَالْحَبِيبُ مُذَكَّرًا
إِنِ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ فَهَاهُنَا
فَلْتَهَنَّئِي إِنِّي لَعَمْرُكَ فِي أَنْتَشَا
بِالْمَوْلِدِ الْأَسْنَى يَزِيدُهَا بِاصْطِفَا
وَعَلَى حَمِيدَةٍ قَدْ أَشَعَّتْ بِالصَّفَا
فَخَرًّا بِإِخْيَاءٍ لِلذِّكْرِ الْمُصْطَفَى
إِنِّي لَنَفِي خَطْوِي إِلَيْهَا عَارِفٌ
أُكْرِمَتِ فِي الْمِيلَادِ أَكْرَمَكَ الَّذِي
إِنِّي عَلَى عَهْدِي أَجَدُّ صَادِقًا
فَأَلْقَبْتُ مِثِّي - بِأَشْتِيَاقٍ - قَدْ هَفَا
مِثِّي الْعُهُودَ، فَمَا نَسِيْتُ وَمَا غَفَا
فِي مَوْعِدِ اللَّقْيَا، وَذَلِكَ قَدْ كَفَى
وَلْتَهَنَّ مِثِّي النَّفْسُ جَهْرًا لَا خَفَا
بِالْمَوْلِدِ الْأَسْنَى يَزِيدُهَا بِاصْطِفَا
وَعَلَى حَمِيدَةٍ قَدْ أَشَعَّتْ بِالصَّفَا
فَخَرًّا بِإِخْيَاءٍ لِلذِّكْرِ الْمُصْطَفَى
كُلَّ الْمَغَارِزِي مَا بَدَا أَوْ قَدْ عَفَا
بِحِفْظِ يَصُوتِ الْوُدِّ يُنْعِمُ بِالشِّفَا
فُرُوضًا لِحَيِّ مَا حَيْثُ وَبِالْوَفَا

(1) نظمت هذه القطعة عشية يوم الأربعاء 11 ربيع الأول 1406هـ = 20 أبريل 2005، وأنا في الطريق إلى مكناس حيث أقام جلالة الملك محمد السادس نصره الله ليلة المولد بضريح سيدي بنعيسى، وقد صادف مولده صلى الله عليه وسلم هذا العام ذكرى ميلاد حميدة.

في كل عيد⁽¹⁾

إلى حميدتي الغالية في عيدها الخامس والستين:

فِي كُلِّ عِيدٍ تَزِيدِينَ بِهَاءٍ وَيَزِيدُ حُسْنُكَ نَضْرَةً وَسَنَاءَ
لَا تَفْعَلُ أَيَّامُ فَيْكِ سِوَى الَّذِي يُبْدِي جَمَالَكَ رَوْقًا وَضِيَاءَ
وَأَنَا الْمَعْنَى دَائِمًا لَا أَبْتَغِي إِلَّا آتِسَامَكَ أَنْ تَكُونَ رِضَاءَ
بَلْ أَنْتِ لِي سِرَّ الْحَيَاةِ وَقُوَّتُهَا إِذْ كُنْتِ لِي بُرْءًا وَكُنْتِ شِفَاءَ
وَأَنَا الْعَلِيلُ عَلَى الدَّوَامِ وَلَا أَرَى إِلَّا بِحُجَّتِكَ مَا أَوْدُ دَوَاءَ...
الْيَوْمَ عَيْدُكَ فَأَهْنَيْ وَتُسْنَعِي حَلَّلَ الْمَحَامِدِ قَدْ لَبَسْتَ رِدَاءَ...
وَأَنَا الْعَبِيدُ كَمَا عَهَدْتَنِي مُسْلِمًا أَمْرِي إِلَيْكَ مَحَبَّةً وَوَفَاءَ

(1) كتبت في الرباط يوم الخميس 21 ربيع الأول 1427هـ - 20 أبريل 2006م.

في ذكرى القرآن⁽¹⁾

ذُكِرَى الْقِرَانِ قِرَاتٍ يَنْسَجِدُ بِهِ
عَشِقُ الصَّبَابَةِ جَدْوَالٍ تُعَدِّيهِ
فَالْحُبُّ مَوْقِدُهُ دَوْمًا لَهُ لَهَبٌ
فِي الْقَلْبِ لَا يَنْطَفِي مَهْمَا تُدَارِيهِ
عَهْدٌ عَلَى مُدَدِ الزَّمَانِ مُوثِقٌ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّا لَا نُجَافِيهِ
فَلْيُحْفَظْكَ رَبِّي - يَا حَمِيدَةَ - سَالِمًا
حَيِّي وَحُبْلِي فِي أَعْلَى أَعَالِيهِ
وَلْيُحْفَظِ الدُّرَرَ الْأَعْلَى وَيُبْتِئِهِمْ
نُجُومَ عَزِّ بِفَضْلِ مِنْهُ يُؤَلِيهِ

(1) كتبت هذه المقطوعة يوم الاثنين 9 جمادى الأولى 1427 هـ الموافق 5 يونيو 2006 م.

في الذكرى الخامسة والأربعين لخطبتنا⁽¹⁾

لَنَا فِي عَوْدِ عِيدِكَ كُلِّ عَامٍ مَسَرَّاتٍ تُعَاوِدُ وَأَبْتِهَاجٍ
تُذَكِّرُنَا صَبَا حُبِّ وَلَوْعٍ وَصَبَوَاتُ الْهَوَى لَسَعُ مُجَاجٍ
مَشَاعِرُ إِذْ تُرَاوِدُ مُلْهَبَاتٍ تَزِيدُ وَشَوْفُهَا دَوْمًا يُمَاجٍ
وَلَيْسَ لِحَبِّتِنَا مِنْ مُرْجَبَاتٍ يُكَلِّلُهُ الْوَفَاءُ، لَهُ سِرَاجٍ
فَدُومِي لِلْحَبِيبِ شُعَاعَ نُورٍ يُضِيءُ، فَإِنَّهُ فَخْرٌ وَتَاجٍ

(1) نظمت هذه الأبيات في الرباط، يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية 1427هـ - الموافق 30 يونيو 2006م.

الدهر أعياد معك⁽¹⁾

أَلْعِيدُ أَقْبَلَ هَلْ تَقَرَّدَ وَخَدَهُ وَالْدَّهْرُ مَعْلِكِ حَبِيبَتِي أَعْيَادُ؟
إِذْ أَنْتِ جَنِّي وَالزَّمَانُ صَفَا لَنَا وَالنَّخْبُ يُمَلَأُ بِالْهَوَىٰ وَيُعَادُ
وَالشُّوقُ يُلْهَبُ وَالْمَحَبَّةُ وَقْدُهُ وَالسَّعْدُ وَكُرِّي فِي الْقُلُوبِ يُشَادُ
دُومِي حَمِيدَتِي لَمْ تَزَلِي رُكْنُهُ وَلَأَنْتِ فِيهِ الزَّادُ وَالْأَطْوَادُ
وَكَفَانَا رَبِّي مَا دَهَانَا مُدَّةً مِنْ عِلَّةٍ عَانَتْ بِهَا الْأَجْسَادُ
وَأَعَادَ أَيَّامَ السَّعَادَةِ فَضْلُهُ بِالْيَمَنِ، وَالْبَرَكَاتِ فِيهَا تُزَادُ

(1) نظمت هذه الأبيات في الرباط، صباح يوم الثلاثاء فاتح شوال الأبرك 1427هـ الموافق 24 أكتوبر 2006.

بدا كمثل شمعة⁽¹⁾

بَدَا كَمِثْلِ شَمْعَةٍ أَمَّاسِي تُرِيْلُ ظُلْمَةً وَكُلُّ بَاسِ
فِي ذَهَبِ الْأَعْوَامِ فَاقَ الْمَاسِي غَزَا الْقَلْبِيبَ بِمُدَامِ الْكَاسِ
وَاللَّحْظُ مِنْهُ فَاتِرٌ يُوَاسِي يَبِيدُهُ وَزُدُّ وَرَهْرُ الْآسِ
فَتَخْتُ صَدْرِي دُونَمَا التِّبَاسِ وَقُلْتُ: أَهْلًا طَيْبِ الْأَنْفَاسِ
حُبِّي إِلَيْكَ جَاءَ بَعْدَ يَاسِ فَلْتَنْظُرِي وَلْتَنْطِقِي: عَبَّاسِي
أَنْتِ الْحَمِيدَةُ بِلَا إِيْلَاسِ دَوَامٌ وَصَلْبٌ غَدَا لِيَاسِي

(1) نظمت هذه المقطوعة في الرباط، يوم الجمعة 11 جمادى الثانية 1430 هـ - الموافق 5 يونيو 2007 م.

وتسألني عن حبنا⁽¹⁾

في ذكرى عزيزة يكفيا تميزاً وتفرداً أنها لا تقبل العد

وَتَسْأَلُنِي عَنْ حُبِّنَا بَعْدَ مُدَّةٍ أَمَا زَالَ فِي الْأَخْشَاءِ أَمْ هُوَ قَدْ رَحَلَ؟
فَأَجِبْتُهَا وَالْبَشْرُ يَخْفَى بِاسْمَاءٍ: لَا تَجْزَعِي هُوَ فِي الشَّعَافِ وَلَمْ يَزَلْ
بَلْ هُوَ عِنْدَكَ قَدْ أَقَامَ وَإِنَّهُ فِي الْقَلْبِ مِنَّا لَا يُغَادِرُهُ الْأَمَلُ
لَا تَعْجَبِي مِنْ ذِي السِّنِينَ يَعِيشُهَا وَالسَّعْدُ يَمْلَأُهَا تُغْدِيهِ الشُّعْلُ
فِي جَدْوَةٍ لَا تَنْطَفِي وَهَيْبَهَا أَبَدًا يَزِيدُ بِلَا كَلَالٍ أَوْ مَلَلُ

(1) كتبت هذه المقطوعة في الرباط صباح السبت 13 جمادى الثانية 1428هـ - الموافق 30 يونيو 2007م.

بعد وعكة صحية⁽¹⁾

تعرضت «حميدة» لوعكة صحية اضطررتها إلى فحوص بالراديو والسكانز والأنف والأذن والمعدة، بمستشفى الشيخ زايد، وكان ذلك يتطلب حقنها بالسيروم وأدوية مختلفة.

وبعد أن أزال حقنة السيروم، وضع لها على مكانه رباط شَبَهَهُ بالسَّوَار. وعند ذلك قلت بعد أن اشتريت لها سواراً بالفعل مع خاتمه:

قَالَتْ: رَبَاطٌ مِعْصَمِي إِثْرَ السِّيْرُومِ وَالسِّدْمِ
كَأَنَّهُ أَشْوَرَةٌ أَوْ دُمْلُجٌ مِنْ عَدَمِ
أَجْنِبُهَا: لَا يَنْبَغِي فَلَيْسَ ذَا مِنْ شِيْمِي
لَكَ سَوَارٌ يُزْتَضَى مِنْ ذَهَبٍ ذِي قِيَمِ
مَعَ خَاتِمٍ مُنْمَمٍ بِلَوْلُؤٍ مُنْتِظَمِ
فَلْتَقْبَلِيهِ بِالذَّعَا بِصِحَّةٍ لَا سَقَمِ

(1) في الرباط، يوم الأربعاء 23 رجب 1428هـ - الموافق 8 غشت 2007م.

هدية خالية من الشعر⁽¹⁾:

مناسبة عام جديد

أَهْدِيئُهَا وَهَيْبُ الْقَلْبِ يَتَّقِدُ وَالْعَامُ رَاحَ كَمَا السَّنُونُ تَطْرِدُ
لَمْ تُلْقِ بِالْأَلَمِ وَجَدِي يُورِّقِي مِنْ حُبِّهَا وَكَأَنِّي أَلْيَوْمُ مُبْتَعِدُ
قَالَتْ: هَدِيَّتُكَ الَّتِي قَدَّمْتَهَا لَيْسَتْ بِشَافِيَةٍ عِنْدِي لِمَا أَجِدُ
سَارَتْ تُعَاتِبُنِي أَنْ جِئْتُ مُهْدِيهَا بِأَلَا قَرِيضٍ كَمَا تَهْوَى، وَتَنْتَقِدُ
فَالنَّظْمُ لِلْحَبِّ قَدْ يُطْفِي مَوَاجِدُهُ صِدْقاً تَقُولُ، فَهُوَ الدُّخْرُ وَالْمَدَدُ
أَمَّا سِوَاهُ وَإِنْ يَكْثُرُ لَهُ عَدَدُ فَهُوَ الْفَنَاءُ وَحَتَّى سَوْفَ يُفْتَقِدُ
مِثْلَ الْجَوَاهِرِ لَا يَبْدُو لَهَا أَلْقُ مَا لَمْ تُنْظَمْ بِعَقْدٍ فِيهِ تَنْتَضِدُ
حَتَّى كَمَا الْعَهْدُ لَا تَخْفَى لَوَاجِعُهُ هَلْ صِرْتُ أَعْجُزُ وَالْحَسَادُ قَدْ شَهْدُوا
أَنْبِي بِحَبْلِكَ أَحْيَا فَلْتُهَا عَلْنَا أَسْمَعُهَا كُلَّ مَنْ عَاشُوا وَمَنْ رَقَدُوا
إِنِّي أَكْرَرُهَا مِنْ غَيْرِ مَا مَلِلُ فَلْيَشْهَدِ اللَّهُ فَهُوَ الْحَقُّ وَالْعَمْدُ

(1) نظمت هذه القصيدة في حي الرياض بالرباط، صباح الأحد 10 محرم 1431هـ - الموافق 27 دجنبر 2009م.

إلى من هواها في الفؤاد⁽¹⁾

إِلَى مَنْ هَوَاهَا فِي الْفُؤَادِ يُجَدِّدُ وَمَعَ السِّنِينَ أُوَارَهُ يَتَوَقَّدُ
أَهْدِي الْأَمَانِي بِالْأَطْيَابِ ضَمِّحَتْ وَالسَّعْدُ يَغْمُرُهَا وَمَا قَدْ يُحْمَدُ
لِحَمِيدَتِي وَالْقَوْلُ لَيْسَ بِمُسْعِفِي لَكِنَّ حَالِي عَنْ شُعُورِي يَشْهَدُ

(1) في الرباط، يوم الخميس فاتح محرم 1429هـ = الموافق 10 يناير 2008.

شوق حميدة لمرافقتي إلى رداة⁽¹⁾

وَتَقُولُ لِي وَالْعَيْنُ بَادٍ حُزْمُهَا
وَالْيَدُ تَجْهَشُ غَيْرَ آهَةٍ بِمَا
أَوْ أَنْتِ مُزْمَعٌ سَفَرَةٌ وَأَنَا هُنَا
فَلَأَيِّ رَبْعٍ أَنْتِ رَاجٍ قَبْلَهُ
فَأَجْبَتْهَا فِي بَهْجَةٍ مُتَبَسِّمًا
لَأَزُورَ خِلَاتِ الْوَفَا بِرِدَاةٍ
وَكَذَا الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ فَفَيْضُهَا
سَيَكُونُ أَوَّلَ مَا أَوْدُ شُهُودَهُ
وَإِذَا الْقَصَائِدُ أَنْتِ رَاجٍ عَذْبِهَا
بَيْنَ الشُّيُوخِ وَبَيْنَ شَبَابِهَا
فَهُمْ الْأَلَى حَازُوا السِّبَاقَ جِدَارَةً
أَمَّا الْكِرَامُ فُجُودُهُمْ لَا يَنْقُضِي
وَالدَّمْعُ فِي الْخَدِّ الْمَوْرَدِ يُسْكَبُ
كُلُّ الْعُيُونِ لِحَالِهَا تَتَرَقَّبُ
فِي وَخْشَةٍ لَيْسَتْ تُطَاقُ وَتُرْعَبُ
وَلَأَيِّ حَتِّ أَنْتِ سَاعٍ تَزْعَبُ
إِنِّي عَلَى عَزْمِي فَهَوَ الْمَطْلَبُ
حَيْثُ الصَّفَا وَالصِّدْقُ مِنْهَا يُجْلَبُ
دَوْمًا لِجَامِعِهَا الْمُعْظَمِ يُنْسَبُ
بَعْدَ الْحَرِيقِ⁽²⁾ وَمَا بِقَلْبِي يُلْهَبُ
فَهِنَاكَ مَا يُسْلِي وَمَا قَدْ يُطْرَبُ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا بَلِيغٌ يُسْهَبُ
بِقَرِيحَةٍ وَبِدَاعَةٍ لَا تَنْصَبُ
فَاقِ الْمِثَالَ الْحَاتِمِيَّ وَخُصْبُ

(1) كتبت هذه القصيدة في شهر أبريل 2010.

(2) كان هذا الجامع قد تعرض لحريق مهول.

فَتَغَيَّرَ الْوَجْهَ الْحَزِينُ وَضَاءَةً
 وَذَنَتْ إِلَى سَعِيدَةٍ لِيَقِينَهَا
 وَرَجَتْ مُرَافَقَتِي إِلَيْهِ تَشْوُقًا
 وَسَمَاعِ شِعْرِ جَيِّدٍ وَمُحَبِّبِ
 وَفُجَاءَةً تَمَّ الْعُدُولُ عَنِ الَّذِي
 وَتَكَدَّرَتْ بِسَمَائِهَا بِتَأَثَّرِ
 فَأَجَبْتُهَا لَا تَجْزَعِي إِنَّا عَدَا
 وَالذَّمْعُ صَارَ لِفَرْجِهِ لَا يُحْجَبُ
 أَتَيْتُ إِلَى رُبْعِ الْأَحْبَةِ أَذْهَبُ
 لِلِقَا صَوَاحِبِهَا هُنَاكَ تُرْحَبُ
 تَزُنُّو النَّفُوسُ إِلَى حِمَاهِ وَتُسَلَبُ
 قَدْ كَانَ سَطْرٌ⁽¹⁾ وَالْمَوَاتِقُ تُحْسَبُ
 وَالْحُرُوبُ بَادٍ فِي الْمَحِيَا يُعْرَبُ
 لِرُدَانَةٍ إِنْ شَاءَ رَبِّي نَذْهَبُ

(1) الاتفاق على برنامج اللقاء الذي كان مقرراً أن يتناول دور علماء سوس في خدمة اللغة العربية، مع تكريم السيد الحاج محمد الدعداع الذي تم يوم الجمعة 16 أبريل 2010. وكنت قد اعتذرت في آخر لحظة وناب عني بعض أعضاء النادي ولاسيما د.احميدة (في تكريم السيد الدعداع).

إليك حميدي⁽¹⁾

وقال بمناسبة أحد الأعياد:

إِيكَ - حَمِيدِي - أُهْدِيكَ رُوجِي بِهَذَا أَلْعِيدِ قَدْ مُزِجْتُ بِرَاحِ
فَرَاخَ الْخُبِّ إِنْ مُزِجْتُ بِرُوجِي سَقْتُكَ الْعَمَرَ سُكْرًا بِالمُبَاحِ

(1) يوم الأربعاء 30 يونيو 2010.

هو العيد عندي⁽¹⁾

تهنئة بعيد الفطر:

هو العيدُ عندي لَيْسَ فِطْرًا وَلَا أُضْحِي وَلَكِنْ مَدَى الْأَيَّامِ وَاللَّهُ شَاهِدُ
عَلَى حُبِّنَا الْمَلْتَعِ يَشْهَدُ أَنْبِي بِهِ مَا حَيَّيْتُ الْعُمْرَ قَلْبِي لِأَنْدُ
يُبَارِكُهُ الرَّحْمَاتُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مُبَارَكَةَ الْعِيدَيْنِ بَلْ هُوَ زَائِدُ

(1) يوم الخميس 29 رمضان 1431 هـ - الموافق 7 سبتمبر 2010.

في عيد ميلاد الحبيبة⁽¹⁾

فِي عِيدِ مَوْلِدِكَ السَّعِيدِ تَقَبَّلِي
مِثِّي التَّهَانِي صَادِقَاتٍ بِالقُبُلِ
فَلَأَنْتِ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ فَرْحَةٌ
بِالسَّعْدِ تَغْمُرُنِي يَكْلُمُهَا الأَمَلُ

(1) يوم 16 جمادى الأولى 1432 هـ - الموافق 20 أبريل 2011 م.

انتِ حُبِّي وَحَيَاتِي⁽¹⁾ زجل

إلى حميدتي العزيزة :

انتِ حُبي وَحَيَاتِي وَثَرِيَّةُ دَارِي
وَضِي عَيْنِي وَكَمَالُ زَيْنِ لَبْهَا الْوَارِي
وَاللِّي أَفْنَيْتَ فِيهَا عَمْرِي ابْعَشْقِي وَأَشْعَارِي
لُوصَافُكَ رَانِي مَمْلُوكِ أُوْكَادِيَا اجْمَارِي
وَاحْمَدتِ رَبِّي أَفْكَلِ حِينِ فَذَكَارِي
بِاللِّي احْرَمْنِي ابْدُرَّةُ لَبْكَازِ دَارَةُ لَقَمَارِ
لِكَ نَتَمَّتِي عِيدِ اسْعِيدِ ابْعَزْفِ اؤْتَارِي
أَوْ مَا غَنَّتْ عَلُّ لَدَوَاخِ سَايِرِ لَطِيَارِ
نَدْعِي لِكَ بِالصَّحَا وَازْوَالِ لَكُدَارِ
وَيَدُومِ حُبِّنَا زَاهِي يَانَعِ لَزْهَارِ

(1) كتب الشاعر هذا النص الزجلي في مدينة الرباط، صباح يوم الأربعاء فاتح شوال 1432هـ - الموافق 31 غشت 2011م.

حُبِّي إِلَيْكَ مَعَ الْأَيَّامِ⁽¹⁾

في إهداء مذكرة العام الجديد:

حُبِّي إِلَيْكَ مَعَ الْأَيَّامِ يَتَّقِدُ فِي وَقْدِهِ أَبَدًا بِالْقَلْبِ مَا يَعُدُّ

أَرَى حُسْنَهَا الْبَاهِي⁽²⁾

في ذكرى ميلادها الثانية والسبعين:

أَرَى حُسْنَهَا الْبَاهِي يَزِيدُ تَأَلَّقًا وَحُبِّي بِهَا دَوْمًا يَزِيدُ تَعَلُّقًا
حَمِيدَةً مَهْمَا أَلْعُمَرُ مَرَّ فَإِنَّهَا هِيَ الشَّمْسُ فِي أَنْقِ تَضِيءُ تَأَنَّقًا

(1) كتب الشاعر هذا الإهداء في مدينة الرباط بتاريخ 8 صفر 1433هـ = 2 يناير 2012م.

(2) كتب الشاعر هذين البيتين في الرباط، يوم 20 أبريل 2012م.

لا عبوس في العيد⁽¹⁾

الْعَيْدُ عَوَّدَ أَنْ يَعُودَ سَعِيداً مَا لِلْعَبُوسِ قَدْ أَعْتَرَاهُ جَدِيداً
نَفْسِي إِلَى عَهْدِ الصَّفَاءِ مَشُوقَةً فَالْحُبُّ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَدِيداً

(1) كان ذلك يوم السبت 20 أبريل 2013م فعلقت « حميدة » على هذين البيتين بقولها:
العيد عندي أن يكون مؤبداً ما للقرين يريده متجددا
تكدير عهد للوفاء خيانة فالحب غايته البقا متفرداً

أدام الله عافية الحبيب⁽¹⁾

بمناسبة شفائها من وعكة:

أَدَامَ اللهُ عَافِيَةَ الْحَبِيبِ وَطَمَأَنَّتْ قَلْبَهُمَا مِنْ كُلِّ رَيْبٍ
لِتُخَيِّفِي هَنَاءٍ وَأَنْشِرَاحٍ بِأَمَالٍ وَإِسْعَادٍ خَصِيبٍ
مَعَ الْحَبِّ الْمُتَمِّمِ لَأَمْرَاءِ زَفِيقِ الدَّزْبِ فِي عَزِّ وَطَيْبِ

(1) كتبها يوم الخميس 21 شوال 1434هـ - الموافق 29 غشت 2013م.

عام جديد بالمسرة⁽¹⁾

بمناسبة حلول العام الهجري الجديد (1435):

عَامٌ جَدِيدٌ بِالمَسْرَةِ أَقْبَلًا وَبِكُلِّ فَرْحٍ قَدْ أَهَلَّ وَهَلَّلًا
فَلتَقْبَلِ مِنِّي التَّهْنِائِ وَأَسْعِدِي وَتَقْبَلِي حُبِّي حَدِيثًا مُرْسَلًا

(1) كتبت هذه التهنئة في الرباط، يوم الثلاثاء فاتح محرم 1435 هـ - الموافق لـ5 نونبر 2013م.

حميدتي والشوق ... (1)

إلى حميدتي في ذكرى 30 يونيو (ذكرى القرآن):

حَمِيدَتِي وَالشَّوْقُ رَوْعَ مَضْجَعِي وَلَوْ أَنَّ قُرْبَكَ لَا يُفَارِقُ مَحْدَعِي
فِي عَمْرَةٍ مِنْ حَيْرَتِي وَبَلْوَعَتِي أَرْنُو إِلَيَّ عُمْرٍ مَضَى، لَا تُجْزَعِي
فَأَنَا عَلَى مَا تَعَاهِدِينَ تَأْجِبًا بِلَهَيْبِ حُبِّ كَامِنٍ فِي أَضْلَعِي
مَهْمَا ذَكَرْتُ وَمَا اعْتَرَفْتُ فَإِنِّي قَدْ لَا أُوقِي حَقَّهُ بِالْأَذْمَعِ
فَلْتُقْبَلِي مِنِّي هَدِيَّةَ مُوَلِّهِ هِيَ لِلْوَفَاءِ وَبِالْأَمَانِي الْأَمْتَعِ

(1) الرباط، بتاريخ 13 رمضان 1436هـ الموافق لـ 30 يونيو 2015م. وقد شفع الجراي هذه الأبيات بهدية.

مقتطفات من ديوان
«مع حبي ورضاي»*

* وهي أشعاره لأولاده.

عُـلَا

(ابنتي)

عُلَايَ مِنْ أَلْدُنْيَا وَمَا طَلَعَتْ بِهِ
وَمِنْ كُلِّ شَمْسٍ قَدْ تَبَدَّى جَمَالُهَا
وَمِنْ كُلِّ مَا رَأَتْ أَلْعُيُونَ وَمَا أَنْجَلَى
فَمِنْ حُسْنِهَا قَدْ فُرِقَ الْحُسْبُ فِي أَلْوَرَى
وَمَا زَاتِ كُلِّ أَلْعَالَمِينَ هِيَ أَلْأَبْهَى
وَمِنْ كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ هِيَ أَلْأَعْلَى
وَمَا هُوَ خَافٍ قَدْ يَرَادُ هِيَ أَلْأَعْلَى
وَفِي مَوْكِبِ أَلْإِشْرَاقِ دَوْمًا هِيَ أَلْأَسْنَى
وَأُخْرَى عَلَى كُتُبِ أَلْمَعَارِفِ لَا تَسْلَى
وَفِي «أَلْإِسْكَأَو» (2) أَضْحَى لَهَا هَدَفٌ أَسْمَى
عَسَى عَوْدَةٌ بِأَلنَّجْحِ تُوتِي أَلَّذِي أَحْلَى
يُطَاوَعُهَا قَلْبِي وَيَكْتُمُ حُبَّهُ
فَتَعْلُو عَلَى أَلْعُلْيَا وَكُلِّ عِلْيَةٍ

(1) كتبت هذه المقطوعة الشعرية في مدينة الرباط، يوم 19 ربيع الثاني 1406 هـ - الموافق لفاتح يناير 1986.

(2) الإِسْكَأَو، ISCAE، المعهد العالي للتجارة وإدارة المقاولات، الدار البيضاء (المغرب).

عيد ألوف

إلى ابنتي العزيزة «ألوف» أهدي هذه الكلمة تعبيراً عن مدى الشوق إليك،
مع سلام أمك وإخوتك، ودعائنا جميعاً إلى الله أن يوفقك ويسدد خطاك، لتحقيق
ما تغربت من أجله.

عجيب أمر هذا العيد ! أقبل على غير عهده يجر ذيولاً باردة دامسة، وولى
تاركاً من سهروا منذ الفجر لاستقباله، يجترون دموع الشوق وزفرات الحنين.

مضى وانقضى دون البهجة التي اعتاد أن ينشرها على الأكوان ويبتها في
النفوس، مضمخة بعطر الحب الصافي وعبير اللقاء الدافئ.

« وكيف لا عطر ولا عبير، ولا فرح ولا سرور، والجو كله ابتسام وشروق،
والسماء تلقي بنداهما المتلائي بين خيوط شمس الحريف الفاترة؟

وكيف لا بهجة في هذا اليوم، والورود والزهور تملأ أركان العش الهادئ في
تألق رشيق أنيق؟».

هكذا قالت وكذلك قال ويقول كل من لقيت في هذا العيد ؟

ولكن لكأني في قبضة من لفني بجبروت في رداء ديجور حالك كثيف،
ثم ألقى بي في دوار عنيف، ذي سطوة لا تهدأ قليلاً إلا لتزيد قوة، تضاعفها شدة
الغثيان وبرودة العرق المتصبب.

هل هو حلم أم حقيقة؟

مهما أكن في حلم، فإن صوتها العذب عبر الهاتف في هذا اليوم - السعيد
الشقي - يعيدني إلى الحقيقة لألوك - ورفيقتي في مسيرة الحب والحياة - مرارة
الفراق، وحر الشوق إلى التلاق.

وأنى لنا أن نشعر بغير ذلك، وقد نأت عنا ألوف القلب والروح والفكر
والذهن.... صاحبة العيد.

الرباط، 8 نوفمبر 1987.

إلى ولدي الحبيب « محمد »
في ذكرى ميلاده بديار الغربية⁽¹⁾:

هَبَيْتَ بِأَلْعِيدِ الْجَدِيدِ مُحَمَّدُ وَالنُّجُحِ حِلْفِكَ وَالسَّادِ الْأَلْحَمْدُ
فِي سَادِسِ التَّشْرِينِ الْاَوَّلِ حِثَّنَا وَالْبَشْرِ حَوْلَكَ وَالزَّمَانُ الْأَرْغَدُ
بَدْرًا مُنِيرًا فِي سَمَانَا وَنَجْمَهَا إِلْفِ الْعَلَا⁽²⁾، وَهُمَا الْفَخَارُ الْأَمْجَدُ
وَنَمُوتَ كَالزَّهْرِ الْمُعْطَّرِ فَوْحُهُ حَتَّى بَدَثَ رِيمٍ⁽³⁾ فَكَانَ السُّؤْدُ
وَرَحَلْتَ تَخْطُبُ لِلْمَعَارِفِ أَوْجَهَا بُورِكْتَ وَالْأَحْتَانِ⁽⁴⁾، أَنْتَ مُعَصَّدُ
حَثَّمَا رُوحِ الْمَعَالِي مِثْلَمَا سَيْحَتْ ظَبْيَيْنَا⁽⁵⁾ طُمُوحُ مَقْصَدُ

هَا حَلَّ عَيْدِكَ - فَلَدْتِي - أَنَّى لَنَا فِي أَلْعِيدِ أَنْ نَحْطَى وَأَنْتَ الْأَبْعَدُ
أَمَلِي وَأَمَلْكَ أَنْ تَكُونَ بِصِحَّةٍ وَمُؤَقَّفًا فِي الدَّرْسِ، وَهُوَ الْأَفِيدُ

(1) كتبت هذه القصيدة بالرباط يوم 29 شتنبر 1991.

(2) أختاك: ألوف وعلا.

(3) أختك الصغيرة ريم.

(4) ألوف وعلا الراحلتان مثلك في طلب العلم.

(5) ريم التي ستلحق بإخوتها لإتمام دراستها بعد الحصول على البكالوريا وما بعدها إن شاء الله.

وَتَعُودَ لِلْوَطَنِ الْحَبِيبِ مُكَلَّلًا بِالْغُيَمِ يَحْفَظُكَ إِلَٰهَةُ الْأَوْحَادِ
وَيَعُودَ لِلشَّمْلِ الْمَفْرَقِ جَمْعُهُ وَتَمَّ فَرَحُنَا، فَذَاكَ الْمَوْعِدُ
وَيُنَالُ كُلُّ مِنْكُمْ مَا يَبْتَغِي وَتُحَقِّقُونَ الْعِزَّ وَهُوَ مُخَلَّدُ
فَلْتَهَنَّ بِالْعِيدِ الَّذِي هُوَ عِيدُنَا تَبَلَى السِّنُونِ وَأَنْتَ فِيهِ الْأَسْعَدُ

مع رضا أبيك وأمك ودعائهما الدائم لك.

إلى ابنتي الحبيبة «ألوف»
في ذكرى ميلادها ببلاد الغربية⁽¹⁾:

هل سُلُوْ فِي جُفُونِي سُهْدُ وَلَهِيْبُ الْغِيَابِ فِي الْقَلْبِ وَقْدُ
خَمْسَةَ⁽²⁾ قَدْ مَضَتْ وَفِي كُلِّ عَامٍ مِنْ بَعَادِ الْحَبِيْبِ هَوْلٌ أَشَدُّ
ذِكْرِيَاتٌ تَحُلُّ فِينَا وَتُمْسِي وَمُضِيَّ الزَّمَانِ لَيْسَ يُرَدُّ
إِنَّ ذِكْرَاكِ يَا أَلُوفُ أَضَاءَتْ مِثْلَ شَمْسِ الضُّحَى إِذَا هِيَ تَبْدُو
بَلْ هِيَ الشَّمْسُ أَنْتِ فِيهَا شُعَاعٌ دَائِمٌ وَالسِّنُونُ تَمْشِي وَتَعْدُو
زَهْرَةٌ أَنْتِ لِلْحَيَاةِ وَعِطْرٌ دُونَهُ الطَّيِّبَاتِ نَدٌّ وَوَرْدُ
حُلْمًا أَنْتِ فِي هِنَاءٍ وَقُرْبٍ هَلْ لِهَذَا الْغِيَابِ وَقْفٌ وَحَدُّ؟
تَتَمَلَّى إِذْ أَنْتِ فِي مَسَلِّ الْعِزِّ وَسَعِيٍّ إِلَى الْفَلَاحِ يَجِدُ مَطْلَبُ الْعِلْمِ أَنْتِ فِيهِ مِثَالُ
إِنْ تَكُنْ غُرْبَةً التَّعَلُّمِ طَالَتْ مُرُّهَا فِي الْقَرِيبِ حُلُوٌّ وَشَهْدُ
إِذْ عَدَا قُرْبَنَا سَيَدُنُو بِفَوْزٍ وَعَدَا إِنْ يَشَاءُ رَدِّي سَعْدُ

(1) كتبت هذه القصيدة بالرباط، بتاريخ 24 أكتوبر 1991.

(2) إشارة إلى أن غياب «ألوف» عن المغرب للدراسة في الولايات المتحدة دام خمس سنوات.

فَلْتَوَفِّي - كَمَا وَعَدْتِ - مُنَانًا إِنَّ وَعْدَ الْحَبِيبِ صِدْقٌ وَعَهْدُ
وَلْتُدْومِي مَكْلُوءَةً، وَمُحِيطًا بِكَ حِفْظُ الْإِلَاحِ، وَالْحَمْدُ يُخْدُو
وَكَذَا أُخْتُكَ الْعَزِيزَةَ مَنْ قَدْ لِلْعَلَا نَفْسَهَا تَشُوقُ وَتَشْدُو
وَالشَّقِيقُ الْحَبِيبُ فِي مِيعَةِ الْعُمْرِ، وَلَكِنْ لِمَفْخَرِ الْعِزِّ نَدُّ
فَاقْبَلُوا مَعَ رِضَى أَبِيكُمْ جَمِيعًا قُبُلَاتِي وَدَعْوَةَ لَا تُرَدُّ
وَسَلَامًا مِنْ أُمَّكُمْ مَعَ رَبِّم فَلَكُمْ مِنْهُمَا أَشْتِيَاقٌ وَوَجْدُ

في مساء يوم الثلاثاء 17 ربيع الأول 1413هـ الموافق 15 سبتمبر 1992م
كانت ابنتي أوف - صانها الله - تخبر عبر الهاتف بتقديم أطروحتها التي تمت
مناقشتها بنجاح في صباح هذا اليوم أمام لجنة مكونة من أربعة أساتذة، فخطبتها
بهذه الأبيات⁽¹⁾:

ألوفي قد بلغت ذرى المعالي

ألوفي قد بلغت ذرى المعالي ونلت سناً المفاخر والعوالي
ونجماً صررت في أفقي مضيئاً بطلعته منيراً كأللال
من الدرر الحسان صنعت عقداً يزين أليد فتاك الجمال
كنوز المجد حزت وزدت فضلاً على الأبيكار ربات الجبال
بعلم في علا قمم تسمى «حساباً»⁽²⁾ جاء كالسحر الخلال
سعيت إليه جداً في اغتراب ولم تصرفك أهوال الليلي
بتقوى الله جهلك كان دوماً حثيث الكد مع سامي الخلال
هنيئاً يا ابنتي حققت نجحاً عديم المثل صعباً في المنال

(1) صباح الخميس 19 ربيع الأول 1413هـ - الموافق 17 سبتمبر 1992م.

(2) إشارة إلى تخصصها في الرياضيات التطبيقية.

فَهْدِي «الدُّكْتُرَا» تَاجَ سَيِّتِي لِجَرِّ الدَّيْلِ عِزًّا فِي دَلَالِ
وَأَرْجُو أَنْ تُلَاحِظَهَا سُعُودُ تُجَمِّلُهَا رُقِيًّا لِلكَمَالِ

مع حبي ورضاي وانتظار عودك المكلل الميمون.
أبوك

إلى ابنتي العزيزة «ألف» في ذكرى ميلادها، وهي في ديار الغربية؛ والشوق
يزداد إليها، مع انتظار عودتها في القريب إن شاء الله، بعد أن قدمت أطروحتها
وناقشتها بتفوق:

تهنئة وشوق⁽¹⁾

1- أَقْبَلُ الفَجْرُ،

مُضِيئاً لِروايِنَا العَلِيَّة؛

يُعلِنُ البهجةَ

يُفْشِيهَا تَحِيَاتِ زَكِيَّة

مَقْدَمُ الحُسْنِ !

وَمَا أدْرَاكُ ؟

مَا رَوْنَقُهُ ؟

نُشُوَّةُ الكَوْنِ،

رَغَارِيدِ،

وأضواءً سَنِيَّة.

والعَدَاوَى

(1) كتب هذا النص يوم الاثنين 28 ربيع الثاني 1413هـ الموافق 26 أكتوبر 1992.

بِنَشِيدِ الْقَلْبِ مَا أَعَذَبَهُ
مَائِسَاتٌ،
وَرِيَاضُ الْعِشْقِ حُضْرٌ سُنْدُسِيَّةٌ.
وَكُؤُوسٌ
بِمُدَامِ الْحَبِّ
صِرْفًا تَتَلَالَا؛
وَالشَّنْدَا الْعِطْرِي
لَأَزْهَارِ الْبَرَارِي،
كُلُّهَا فَوْحٌ
وَأَنْسَامٌ نَدِيَّةٌ.

2- إنها فرحة ميلاد التي

هي رُوحِي
وَأَمَالِي
وَدُنْيَايَ الْبِهِيَّةِ.
إِنَّهُ عِيدُ الْوَفِيِّ،
الْفُتْيِ... الْفُتْيِ... وَمَأْلُوفِي؛
عِيدُ مَنْ

سُكِنَاهَا حَلَّتْ بِشَغَافٍ،
فَعَدَا السَّعْدُ حَلِيفِي،
وَالْمَسْرَاتُ
بِقَلْبِي أَبْدِيَّةً.
زَادَ شَوْقِي،
طَالَ سُهْدِي،
بُعْدُهَا أَصْنَى فُؤَادِي،
عَيْدُهَا أَلْيَوْمَ
يُسْلِي،
ثُمَّ لَا يَلْبَثُ يُدْكِ
جَدْوَةَ التَّوْقِ
لِلْقِيَاهَا
وَأَهَاتِي الشَّجِيَّةَ.

3- وغداً

يَخْلُو لِقَاهَا

إِذْ تَعُودُ،

وَيَبْتَاجُ الْعِلْمَ

يُرْدَادُ بِهَاهَا،
وَتُضِيءُ الشَّمْسُ
أَنْوَاراً زَهِيَّةً.
ذَٰكَ حَقًّا هُوَ عِيدِي،
هُوَ عِيدُكَ،
عِيدُ أُخْتَيْكَ
أَخِيكَ وَأُمَّكَ،
عِيدٌ مَنْ دَوْمًا أَحَبَّكَ.
فَمَتَى؟
رُذِّي الْوَفِي؟
عَجَلِي، أُبْرِدِي
نَارِي الذَّكِيَّةَ.
فَمَتَى الْعَوْدَ؟
عَوْدُكَ الْمَيْمُونِ أَحْمَدَ؛
إِنَّهُ خَيْرُ هَدِيَّةٍ،
وَهُوَ بُشْرَانَا الْهَنِيَّةَ.

مع رضى أبيك

إلى ابنتي ريم أصلحها الله⁽¹⁾:

قَالُوا الْفِرَافُ شِفَاؤُهُ يَتَأَكَّدُ وَالصَّبُّ يَنْسَى وَالْجِرَاحُ تُصَمِّدُ
فَأَجِبْتُهُمْ هَذِي مَقَالَةٌ مِنْ سَلَا مَنْ لَمْ يُجْرِبْ حَالَهُ تَتَجَدَّدُ
سَلْنِي أَنْتِئْتِكَ الْحَقِيقَةَ وَاتِقَا أَنْ أَلْهَوِي فِي الْقَلْبِ دَوْمًا سَيِّدُ
يَا رِيمُ حُبِّكَ فِي الْحَشَا لَا يُنْطَفِي وَالشَّقُوفُ بَادٍ فِي الْجَوَى يَتَوَقَّدُ
إِنِّي وَأَمَلِي لَسْنَا نَسْلُو لِحَظَةً كَيْفَ السُّلُوقُ وَصَبْرُنَا قَدْ يَنْفُذُ
طَالَ الْعَادُ وَاللِّصَابَاةِ صَوْلَةٌ مَهْمَا نَأَيْتِ فَإِنَّهَا تَتَمَدَّدُ
عَامَانٍ فِي بُوسُطُونَ⁽²⁾ كَيْفَ نُطِيقُ مَا فِي النَّفْسِ يُنْفِخِي ذَا الْمُقَامِ الْأَبْعَدُ
لَوْلَا الْأَيْقِينُ بِمَا عَزَمْتِ لِنَيْلِهِ بِالذَّرْسِ مَا كُنَّا هَوَاكِ نُؤَيِّدُ
وَعَلَى الدَّوَامِ أَكْفُنَا مَرْفُوعَةٌ لَكِ بِالْهَدَايَةِ وَالْعَلِيَّ يُسَدِّدُ
إِنَّا لَنَامُلُ عَوْدَةَ مَيْمُونَةَ بُشْرَى النَّجَاحِ بِهَا تَسُرُّ وَتُسْعِدُ

أبوك المشتاق

عباس

(1) في الرباط، بتاريخ 5 مايو 1998.

(2) كانت تتابع دراستها العليا في جامعة بوسطن حيث ستنال بإذن الله درجة الماجستير في التواصل.

قبلة تهنئة لـ«نور»
في الذكرى الأولى لميلادها⁽¹⁾

كتب الشاعر الجرامي مهتئاً حفيدته «نور»⁽²⁾:

أَلْعِيدُ أَقْبَلَ بِالْبَشِيرِ يَنْوُرُ
وَالسَّعْدُ بَادٍ تَزْدَهِي بِهِ «نُورُ»
تَزْهَوُ بِعَامٍ قَدِ مَضَى فَرِحاً بِهِ
تَخْطُو الْهُوَيْنَا تَارَةً وَتَدُورُ
كَانَ التَّدَاءُ لَنَا يُثِيرُ تَبَسُّمًا
مِنْ ثَغْرِهَا حُلُوا عَلَيْهِ سُرُورُ
أَيْنَ التَّدَاءِ الْآنَ عَبْرَ هَوَاتِفِ؟
هَلْ ضَمَّةٌ تُشْفِي الْعَلِيلَ يَثُورُ؟
لَكِنْ بَوَعْدِ إِثْ يَشَارِبِي غَدًا

(1) كتبت هذه المقطوعة بالرباط يوم الأربعاء 26 ربيع الأول 1424هـ - الموافق 28 ماي 2003.

(2) «نور» ابنة أوقف.

سَنزُورُهَا نُطْفِي أَللَّهِيَبَ يَفُورُ
فَالشَّوْقُ فَأَقْ حُدُودَهُ مَهْمَا بَدَا
أَنَا عَلَى حَبِّ الْفُؤَادِ نَجُورُ
فَلتَهَنِّي يَا «أَلْفَتِي» مَعَ «يُوسُفِ»⁽¹⁾
وَلتَسْعِدِي فَالسَّعْدُ عِنْدَكَ «نُورُ»
بَلْ سَعَدْنَا طُرّاً مَعَ ابْنَةِ خَالِهَا
فَهِيَ أَلْ «عُلَا»⁽²⁾ دَوْمَا لَنَا وَحُبُورُ

جدك: عباس الجراري
لألاً (كما تودين النداء: حميدة)⁽³⁾

(1) زوج أوف.

(2) «عُلا» ابنة محمد بن عباس الجراري.

(3) كتبت هذه العبارة في الأصل المخطوط، بخط جدة «نور» الأستاذة حميدة الصائغ.

**مقتطفات من شعر
الإخوانيات**

في حضرة صاحب الجلالة الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه

بمناسبة انتهاء السنة الدراسية للمدرسة المولوية لموسم 1993-1994، قدم الدكتور عباس الجراري لجلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه بعض كتبه المنشورة خلال سنتي 1992 و1993، وتم ذلك عشية الأحد 16 محرم 1415هـ الموافق لـ26 يونيو 1994، فكان جواب جلالته على الكتب: «تبارك الله».

وقد شفّع الدكتور الجراري هذه الهدية بقصيدة شعرية أرفقها بالمذكرة التالية:

«مولاي أمير المؤمنين؛

حفظكم الله ورعاكم ومن كل شر وقاكم، ولكل خير أبقاكم.

على إثر ما تتفضلون به عليّ من عطف دائم، أرجو أن تقبلوا هذه النفثة الشعرية الصادقة، شكراً لجلالتكم على ما تتكرمون به عليّ من تقدير؛ ومعتدراً عن عدم قبول المناصب السامية التي عرضتموها عليّ منذ 1975 إلى الآن؛ وعارضاً نفسي لخدمتكم فيما يلائمني صحياً وفكرياً، وما أراه أكثر جدوى لشخصكم الكريم، وللعرش العلوي والدولة المغربية».

أما القصيدة فتقول:

جَرُّوتُ فَحَبَّرْتُ

جَرُّوتُ فَحَبَّرْتُ الْكِتَابَ إِلَيْكُمْ يَقِينًا بِأَنِّي فِي صَمَانِ حِمَاكُمْ
فَأَنْتُمْ لِإِكْرَامِ يَعِزُّ نَظِيرُهُ وَأَنْتُمْ لِإِنْصَافِ الَّذِي قَدْ دَعَاكُمْ
فَجُودِكُمْ هُوَ الْوُجُودُ لِأُسْرَةٍ عَلَى سَنَنِ الْأَجْدَادِ تَزَعَى وَفَاكُمْ
حَبْوَتُمْ أَفْكَارِي وَكُتَيْبِي بِعَطْفِكُمْ تُفِيضُونَ لِي نِعْمَاكُمْ وَعَطَاكُمْ
وَأَجْنِيئُكُمْ مِثْلَ عَظِيمِ نَوَالِكُمْ وَأَوْيْتُمْونِي فِي ظِلَالِ لِسَاكِكُمْ
وَهَلْ يَتَدَرُّ التَّعْبِيرُ كَشَفِّ مَشَاعِرِ لِنَفْسٍ مَوَاتٍ أُحْيَيْتَ بِبِنْدَاكُمْ
أَلَا فَاعْذَرُوا عَجْزِي عَنِ الشُّكْرِ وَلِيَكُنْ بِنَظَرٍ وَتَمَكِينٍ جَمِيلٍ جَزَاكُمْ
عَلَى أَنْبِي دَوْمًا عَلَى الْعَهْدِ وَالْوَلَا أَدِيرُ وَأُوْفِي لِأَيْمَانِ لِسْرَاكُمْ
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ رَعَايَا جَنَابِكُمْ لِخِدْمَتِكُمْ أَرْؤُوسًا وَأَرْجُو رِضَاكُمْ
عَلَى عَتَبَاتِ الطُّهْرِ الْقَيْتُ مُهْجَتِي عَسَى تَقْبَلُوهَا فَهِيَ مَحْضُ فِدَاكُمْ

وقد علق جلالة الملك الحسن الثاني على القصيدة بقوله: (أخلاص ألفقي)،
ثم زاد فقال: (أنا فاهمك وقابل اعتذاراتك أو ما تقلقش).

ألقي الدكتور عباس الجراري يوم الأربعاء 11 رمضان المعظم 1419هـ الموافق 30 دجنبر 1998، درساً حساناً أمام جلالة الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه، كان موضوعه « ثقافة الحوار كما أسماها القرآن الكريم ». وقد لقي هذا الدرس وصاحبه تنويهاً وتقديراً من جلالة الملك، كان له أثره في نفس الدكتور عباس الجراري، فكانت هذه القصيدة النونية المعبرة عن مشاعره تجاه هذه الالتفاتة المولوية.

يا سيدي وهتاف الحب

وَقَادِنِي حَامِلاً شِعْرِي وَأَحْنَانِي	يَا سَيِّدِي وَهْتافُ الْحُبِّ نَادَانِي
أَهْدَيْتُ لِلْحَسَنِ الثَّانِي رِياحيني	عَلَيَّ إِذَا مَا لَتَمْتُ الْكَفَّ مُنْتَشِيًا
وَمُبْدَعَاتِكَ فِيهِ دُرٌّ تِيحَانِ	فَالشَّعْرُ أَنْتَ لَهُ رَاعٍ وَتَقْرِضُهُ
فَوَقَّعْتَ لِحْنَهَا أَوْتَارَ عِيدَانِي	تَغْرِيدَةً عَدْبَةً قَلْبِي تَعَشَّقَهَا
بِلَحْنِهَا قَدْ سَمَّتْ كُنْتِي بِبُرْهَانِ	عَزَّتْ يِرَاعِي إِذْ دَوَّنْتُهَا طَرِبًا
نَفْسٌ تَشُوقُ إِلَى اللَّقِيَا بِتَوْقَانِ	شَهْرُ الصِّيَامِ لِمَثَلِي خَيْرٌ مَّا أَهْتَبَلْتُ
وَبِالْهَدَى شَدْتُكُمْ صَرْحًا وَقُرْآنِ	فِي مَجْلِسِ الدَّرْسِ بِالرَّحْمَانِ صِينْتُهُ

وَسُنَّةَ الْمُصْطَفَى عَلِيٍّ جُدُودِكُمْ
 نَفْسِي فِدَاءُكَ يَا مُؤَلَّيَّ يَا مَلِكِي
 أَرْجُو تَقَبُّلَ مَا قَدَرِي يَجُودُ بِهِ
 إِثِّ تَقْبُلُوهُ فَلَحْظُ السَّعْدِ يَزْمُنِي
 إِنَّ لَمْ يَكُنْ لِي حَظٌّ مِنْ رِضَائِكُمْ
 لِمَنْ أَرُفُ تِمَارِ الْفِكْرِ لَوْ وُجِدَتْ ؟
 يَكْفِينِي أَنْبِيَّ بِالْإِخْلَاصِ أَحْدُمُكُمْ
 عَلَى عُهُودِ الْوَفَا ثُمَّ الْوَلَاءِ لَكُمْ
 فَاللَّهُ يَكْلَأُكُمْ وَالنَّصْرُ رَايَتُكُمْ
 وَاللَّهُ يَزْعِي وَلِيَّ الْعَهْدِ فِي شَمِّمِ
 بِهِ أَقْتَدِيكُمْ عَلَى نَهْجِ وَإِحْسَانِ
 يَا مَنْ نَدَاهُ مَدَى الْأَيَّامِ أَحْيَانِي
 إِذْ قَدَرُكُمْ قَدْ عَلَا سَمَقاً ذَوِي الشَّانِ
 وَيَا لِحَيَّةِ سَعْيِي مَا سَيَلْقَانِي
 فَلْتَذَبَلَنَّ وَرَيْقَاتِي وَأَعْصَانِي
 فَمَا لِعَيْرِكُمْ شُكْرِي وَعَرْفَانِي
 مُشْرِفاً بِانْتِمَاءِ الْعِرِّ أَعْنَانِي
 وَالصِّدْقُ دَيْدُتُ مَنْ يَهْوَى بِوَجْدَانِ
 وَالْمَجْدُ رَائِدُكُمْ دَوْماً لِأَوْطَانِ
 وَصِنْوَهُ بِهِمَا إِفْرَارُ أَعْيَانِ

رعاية ملكية سامية

أجريت للدكتور عباس الجراري في يوم السبت 16 جمادى الأولى 1420هـ الموافق لـ 28 غشت 1999م عملية جراحية بمصحة أكدال في مدينة الرباط، على يد د.دوني ومساعدة د.الشقوري، برعاية من جلالة الملك محمد السادس، الذي بعث له مهنئاً بطاقة ضمن هدية. فجاء جواب الأستاذ الجراري شعراً، مهد له بهذه الكلمة، بعد أن غادر المصحة يوم السبت الموالي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه
مولاي أمير المومنين، سبط الرسول الأمين، وراعي حمى الوطن والدين؛
صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم سيدي محمد السادس؛
حفظكم الله بكتابه المبين، وأعزكم بنصره المكين.

وافت هدية سيدي

وافت هدية سيدي تُرجي الشفاء تُلقِي « رِداءً » السَّعدِ بَشْراً وَالْهَناءِ
« عوداً » تَصْوَغُ عِطْرَهُ أَرْجاءً وَفأخ وَ« بِطَاقَةً » صَمَّثَ حُزُوفاً مِنْ ضِياءِ
قَدْ صاعَها قَلمُ المَلِيكِ مُشْرِفاً لِخَدِيمِهِ السَّاعِي إِلى كَسْبِ الرِّضاءِ
رَفَّتْ إِلى العَبْدِ المَطِيعِ مَهانِياً بِالبُرِّ مِنْ مِثْرٍ وَفَيْضاً مِنْ دُعاءِ
ما كانَ إِلاَّ بِالإِجابَةِ رَدُّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المُسْتَعابِ عَلى أَجْزاءِ



إلى الأستاذ الفاضل
السيد عباس الجراري

—



كشَفَ اللهُ عَنْكُمْ الْهَرَّ، وَمَنْحَكُمْ الشِّفَاءَ
وَالصَّبْرَ، وَعَجَدَ لَكُمْ الْعَافِيَةَ.

محمد

* صورة للبطاقة التي بعثها جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، ضمن هدية، مهنتاً الأستاذ عباس الجراري بسلامته بعد العملية الجراحية. والبطاقة بخط جلالته وإمضائه.

في حضرة جلالة الملك محمد السادس
حفظه الله

أهدى الأستاذ الدكتور عباس الجراري كتابه «النغم المطرب بين الأندلس والمغرب»⁽¹⁾
إلى جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، وشفع الهدية بهذه الأبيات الشعرية⁽²⁾:

إلى الملك المحبوب

إِلَى الْمَلِكِ الْمَحْبُوبِ ذِي الْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَمَنْ قَدْ عَلَا فَوْقَ الْمَجَادَةِ وَالْفَخْرِ
يُشْرِفُنِي إِهْدَاءَ مَا قَدْ قَبَسْتُهُ مِنْ «النَّعْمِ» الْمَنْضُودِ دُرّاً بِدَا السِّفْرِ
فَإِنَّ سَيِّدِي «يَطْرِبُ» لَهُ مُتَفَضِّلاً أَكْرَبُ لَاهِجاً بِالذِّكْرِ دَوْماً وَبِالشُّكْرِ
وَإِنِّي عَلَى الْمَعْرُودِ طَوْعُ يَمِينِهِ لِسَانِي لَهُ بِالسِّرِّ يَدْعُو وَبِالْجَهْرِ
لِيُبْقِيَهُ الْمَوْلَى الْقَدِيرَ مُؤَيِّداً فِدَاءَ لَهُ نَفْسِي بِبَدَلٍ وَبِالْبَشْرِ

(1) صدر ضمن منشورات النادي الجراي، عدد 22، الطبعة الأولى، يراير 2002.

(2) الدار البيضاء 13 جمادى الثانية 1423هـ = 22 غشت 2002م.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

مذكرة

مرفوعة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله

نعم سيدي أعزك الله

أبيتم يا مولاي - لفائض كرمكم وفائق إنعامكم - إلا أن تبادروا بتهنئة خدامكم الأوفياء بحلول شهر رمضان المعظم، وتهدوهم ما يُحلُّون به صومهم المبارك إن شاء الله، فتجراتٌ وقلت مُقبلاً أعتابكم الطاهرة:

ملك القلوب

وَأَفِثْ هَدِيَّتُكُمْ تَسْرُ وَتُسْعِدُ وَعَلَى مَكَارِمِكُمْ تَدُلُّ وَتَشْهَدُ
جَاءَتْ تُبَشِّرُ بِالصِّيَامِ وَشَهْرِهِ تُذَكِّي الْمَشَاعِرَ لِلْعِبَادَةِ تُوَقِّدُ
شَهْرٌ أَتَى أَعْقَابَ مَوْلِدِ سَيِّدِي فَالْتَهْنِئَاتُ لَكُمْ تُنَنِّي تُفْرِدُ
مَاذَا أَقُولُ مُهَيِّئاً أَوْ شَاكِراً غَيْرَ الدُّعَاءِ لَكُمْ بِمَا قَدْ يُحْمَدُ
عِزٌّ وَنَصْرٌ وَالْوَفَاءُ لِعَرْشِكُمْ وَوَلَاءٌ شَعْبٍ لِلْحَبِيبِ يُعْرِدُ
وَنَشِيدُهُ مَا شِدْتُموهُ وَإِنَّهُ عَمَّا يَكِبُ لَكُمْ طَرُوباً يُنْشِدُ

حُبِّ وَأَدْعِيَةٍ وَمَا قَدْ كُنْتُمْ عَبَّأْتُمُوهُ لَهُ يَوْمٌ يُشِيدُ
وَالْكَفُّ يَرْفَعُهَا بِطُولِ حَيَاتِكُمْ وَالصِّدْقُ دَوْمًا فِي حَشَاهُ مُخَلَّدُ
فَلَأَنْتُمْ مَلِكُ الْقُلُوبِ بِعَطْفِكُمْ وَبِمَا الْإِلَآهَ يُعِينُكُمْ وَيَعَصِدُ
وَلِيَحْفَظِ الْحَسَنَ الرِّضَى وَأُحْتَهُ يَخْدُوهُمَا نَهْجُ الْإِلَآهِ وَيُرْشِدُ

الرباط في 29 شعبان 1430 هـ الموافق 21 غشت 2009 م

في حفل عشاء تكريمي أقامته السيدات الدبلوماسيات على شرف السيدة الفاضلة المحترمة سمو الشيخة فاطمة أرملة سمو الشيخ المنعم زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله، حضرته السيدة حميدة الصايغ حرم الدكتور عباس الجراري، وطلب منها أن تلقي كلمة باسم المغربيات صديقات الشيخة، فنظم لها الأستاذ الجراري هذه القصيدة، التي أنشدتها في الحفل، وقد مهد الشاعر لها بالعبارة التالية:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه⁽¹⁾

إلى الفاضلة المحترمة المحفوظة بعناية الله ورعايته سمو الشيخة فاطمة أرملة سمو الشيخ المنعم زايد بن سلطان آل نهيان تغمده الله بواسع رحمته:

أفاطمُ أهلاً

أفاطمُ أهلاً في مَرابِعِ إخوتك والرَّحْبُ في سَعَةِ بأيمِ زورتك
المَغْرِبُ الأَقْصَى يُهَلِّلُ مُسْعِداً بهِجاً بما تُصْنِفي بِحُسْنِ مَبْرَتِك
فلأنتِ للشَّرْقِ العَجِيبِ تَوْجُّهُ ولأنتِ في عَزْبِ تُشعِ بِطَلْعَتِك
ولأنتِ للعُزْبِ الكِرَامِ مَنَارَةٌ ولأنتِ بَدْرٌ في دِياجِي أُمَّتِك
نلتِ المَشِيخَةَ بِنَعَةٍ مُضْرِيَّةً كُـلَّ الخَلَائِقِ تَشْرِيْبُ لِسُدَّتِك

(1) الرباط في 19 شعبان 1429هـ الموافق 21 غشت 2008م.

مَعِ حِكْمَةٍ زَانَتْ صَفِيٍّ مَوَدَّتِكَ	كَرَمٌ وَمُجْدٌ وَأَعْتَزَارُ أَرْوَمَةٍ
وَالْقَدْرُ عِنْدِي دُونَ فَائِقِ نَظَرَتِكَ	مَالِي لِإِهْدَاءٍ يَلِيْقُ مَكَانَةً
فَلَعَلَّهُ يَحْظِي بِبَعْضِ مَسْرَتِكَ	هَذَا كِتَابِي إِنْ قَبِلْتِ تَكْرُمًا
حَبْرَتُهَا بِالْحُبِّ وَفَقَّ مَحَبَّتِكَ	فَبِهِ عَنِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ عَوَاطِفُ
وَجُيِبُ مَا نَزَّجُوهُ مِنْهُ بِدَعْوَتِكَ	فَاللَّهُ يَرْحَمُهُ وَيُبْرِدُ رُؤْسَهُ
وَوَلِيَّ عَهْدٍ عَزُّهُ مِنْ عِزَّتِكَ	وَاللَّهُ يَحْفَظُ مَنْ تَوَلَّى بَعْدَهُ
كَالسَّادِسِ الْمَحْبُوبِ مُكْرِمِ حَضْرَتِكَ	وَيُدِيمُ نَصْرَهُمَا بِثَابِتِ خُطْوَةٍ

تهنئة صديق بمولودة⁽¹⁾

خاطب الشاعر الجراري الأستاذ حسن أوريد مُهنئاً⁽²⁾ بمناسبة عقيقة ابنته

« سامية » فقال:

رِيحَانَةٌ هِيَ « سَامِيَةٌ » فَاحْثٌ طُيُوباً غَالِيَهُ
أَوْ نَعْمَةً طَرِبَتْ لَهَا كُلُّ الطُّيُورِ الشَّادِيَهُ
بَلْ شَمْسٌ سَعِدِ اشْرَقَتْ وَصَّاءَةٌ مِنْ غَالِيَهُ
الْبَشْرِ أَقْبَلَ وَالْهَنَا وَالْمَجْدُ أُمَّ مَرَايَهُ
فَاهُنَا أَحْيِ حَسْبَ بِهَا وَتَهْنِ زَوْجَكَ سَالِيَهُ
وَاللَّهُ يَحْفَظُ وَدُكُم مُمْتَرِي الثَّغْرِ بِـ « سَامِيَهُ »

(1) صباح السبت 19 محرم 1422هـ = 14 أبريل 2001م.

(2) عين الأستاذ حسن أوريد في بداية عهد الملك محمد السادس (1999)، ناطقا رسميا باسم القصر الملكي، وظل يشغل هذا المنصب إلى غاية شهر يونيو 2005.
- عين بعد ذلك واليا على جهة مكناس/تافيلالت.
- شغل منصب مؤرخ المملكة المغربية من نونبر 2009 إلى دجنبر 2010.
- رئيس «مركز طارق بن زياد» للدراسات والأبحاث.
- يعمل حاليا أستاذا بكلية العلوم القانونية، جامعة محمد الخامس بالرباط.
- إلى جانب تكوينه وتخصصه القانوني، نجد للأستاذ حسن أوريد، اهتمامات أدبية، فقد كتب العديد من الأعمال الإبداعية باللغتين العربية والفرنسية.
- من أعماله الأدبية المنشورة، رواية « الموريسكي » ورواية « سيرة حمار ».
ومن دواوينه الشعرية: « يوميات مصطاف »، و « زفرة الموريسكي ».

تذكير وتحذير⁽¹⁾

تغيب الفقيه الصديق السيد محمد حكم عن جلسة جمعة 17 ذي الحجة 1412هـ الموافق 19 يونيو 1992م، مفضلاً حضور وليمة أقيمت بمناسبة عودة بعض الحجاج، فصاغ الأديب الأخ السيد محمد بن الراضي قطعة حاول فيها إيجاد عذر للمتغيب، ولكنه سعى بها في الحقيقة إلى استدراجه للقول. وإذ بقي النداء بدون أي رد، عقت على المقطوعة بهذه الأبيات أخطب فيها « الحكم » الذي اختار أن يكون في موقع « الخصم »:

مَوْحَى لِعِشَاقِ السَّجَالِ فَذَا أَلْكَتَابُ وَهَذَا الشَّعْرُ حُلُوءٌ وَالْعِتَابُ
وَأَفَى مِنْ إِبْدَاعِ الرَّضِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَبْنِ الرَّضِيِّ فَنِعْمَ ذَاكَ خِطَابُ
قَدْ جَاءَ يُعَبِّرُ عَنْ كَوَامِنِ أَنْفُسٍ لَمْ يَسْلُهَا أَنْ لِلْحَبِيبِ غِيَابُ

نَحْنُ أَلْأَمَى عَيْنَا عَلَيْكَ تَخَلُّفَا وَالْفِكْرُ هَامٌ وَمَا لَدَيْكَ جَوَابُ
هَلْ قَدْ رَضِيتَ الصَّمْتَ خَلْتِ بِأَنَّهُ يُطْفِي وَيُنْشِفِي وَالْفُؤَادُ عَدَابُ ؟
أَمْ أَنْتَ « الْحَكْمُ » التَّرَجِي مُحَبَّبْتُهُ إِذْ أَنْتَ سَالٍ وَ« الْخُصُومُ » غَضَابُ ؟
لَمْ تَدْرِ أَمَّهُمْ عَلَى دِينِ الْهَوَى فَعَدَلْتِ عَنْهُمْ وَ« الْهَوَى » غَلَابُ ؟

(1) كتبت هذه القصيدة يوم الجمعة 9 محرم 1413هـ = 10 يوليو 1992.

هُمْ رُفْعَةُ الزَّمَنِ الْجَمِيلِ إِذَا اعْتَرَوْا
 وَالرَّاحِ بِكَرَامِكُمْ فَضَضْتِ خِتَامَهَا
 وَالْحِلَّةُ الْأَخْيَارُ فِي حِلِّ التُّغَى
 عَنْ رَغِي لَدَاتِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلَا
 مَا شِئْتِ مِنْ دُرِّ عَوَالٍ تُشْتَمَى
 مَا الظَّنُّ أَنْكَ قَدْ نَسِيتِ وِدَادَهُمْ
 وَالْعَهْدِ وَافٍ قَدْ خَبَرْتِ وَقَاءَهُ
 وَالْعُمُرُ مِنْكَ نَصَارَةٌ وَشَبَابُ
 وَرُضَائِبَاكُمْ دُفَّتْ وَهِيَ رِغَابُ
 لَمْ يَنْبَهُمْ عُوْدٌ شَدَا وَرَبَابُ
 تُجْلِي الْهُمُومَ وَلِلْسُرُورِ ثِيَابُ
 وَالْوَرْدِ صِرْفِ وَاللُّحُونِ عِدَابُ
 وَنَسِيتِ صَفْوَ الْحَبِّ لَيْسَ يُشَابُ
 وَعَرَفْتِ أُمَّهُنَّ هُنَّ الْأَحْبَابُ

لَكِنَّ «زُرْدَةَ» غَيْرِهِمُ الْهَيْكَلُ عَنْ
 يَوْمِ الْعَرُوبَةِ وَالْأَجْبَةِ الْأَجْمِ
 أَمَا الْقَرِيضُ وَمَا تَوَدُّ تَأْدِبًا
 وَالذِّكْرِيَّاتُ - إِذَا أَرَدْتِ - صَحَائِفُ
 تِلْكَ الْمَجَالِسُ لِأَبَالِكَ إِتْمَا
 وَالشَّيْخُ شَيْخُكَ (1) غَاضِبٌ فِي قَبْرِهِ
 يَأْسَى إِذْ أَنْتِ مُعَادِرٌ خِلَانَهُ
 هَذِي الْعُهُودِ فَجَلَّ فِينَا مُصَابُ
 وَشَدَا الْعُلُومِ لَهُ النَّدِيُّ رِحَابُ
 فَاطْلُبِ فَإِنَّ التَّيْبَرَ تَمَّ مُذَابُ
 مَلَأَى بِهِنَّ لِنَيْدِهَا وَالطَّابُ
 فَخِرُ الرَّبَاطِ وَمُنْتَدَى وَمَأْبُ
 وَالرَّحْمَةُ الْهَاطِلَا عَلَيْهِ سَحَابُ
 مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ يَفْتَقِيهِ صَوَابُ

(1) المقصود مؤسس النادي العلامة المرحوم عبد الله الجارري.

لَوْ رَقَّ قَلْبُكَ كُنْتَ تَسْمَعُ لَوْمَهُ وَنَذِيرَهُ مَاذَا أَلْتُرَابُ حِجَابُ
تُضْغِي إِلَيْهِ أَنْ التَّزِمَ حَقَّ الْهَوَى وَأَنْبُ بَرْدٍ يُنْتَعَى وَيُجَابُ

إِنَّ لَمْ تَرَدَّ وَتَعْتَذِرْ فِي عَاجِلٍ فَأَلْحِكُمْ قَاسٍ وَالسُّيُوفُ صِلَابُ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ بِرَاجِعٍ لِلِإِسْتِنَافِ وَلَا أَعْلَاهُ يُجَابُ
وَأَخَذَ وَجُومَ أَجَبَةٍ مَا زَادَهُمْ إِلَّا الْإِحَاءَ وَلِلْعُقُوقِ عِقَابُ
لَا كَانَ مَنْ يَجْمَعُ الرِّفَاقَ لـ «زُرْدَةٌ» إِنَّ الْحَيَاةَ صَبَابَةٌ وَصَحَابُ

في تأبين الفقيه محمد بن عبد الله الروداني كوثر

يعتبر الفقيه العلامة الشاعر محمد بن عبد الله الروداني كوثر أحد أعلام سوس الذين كانت تربطهم بوالدي - رحمهم الله جميعاً - أواصر عديدة أتاحت لي أن ألقاه أكثر من مرة منذ طفولتي الأولى، سواء في بيتنا بالرباط أو في غيره، ثم توطدت العلاقة بيننا بعد أن توفي والدي رحمة الله عليه في يناير 1983م، إذ ظل وفيّاً للنادي الجرائي يحضر جلساته الجمعية.

وقد اشتغل بالتجارة والتعليم، وعمل بديوان وزارتي الأوقاف والتاج، يوم كان على رأسهما العلامة محمد المختار السوسي، قبل ان يلحق بالإدارة العلمية لأكاديمية المملكة المغربية، حيث حقق «كتاب التيسير في المداواة والتدبير» لابن زهر. وبعد وفاته يوم 27 يونيو 1992، أقام له النادي الجرائي وجمعية إيليج، حفلاً تأبينياً في مدارس محمد الخامس بالرباط، وفيه ألقى كلمة تأبينية⁽¹⁾. أشرت فيها إلى تميزه في فن الرثاء.

وربما كانت قصيدته التي ألقى في تأبين والدي آخر ما قال في هذا الغرض على ما أعلم، وكان قد بدأها بقوله:

هُوَ أَحْكَمُ حُكْمِ اللَّهِ لَيْسَ يَعْقِبُ وَمَا لِأَمْرِي عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَهْرَبُ

(1) أنظرها في الجزء الأول من كتابي (مع المعاصرين) ص، 247-255 (ط، الرباط نونبر 1995).

تُرَاعُ لِهَوْلِ الصَّدْعِ ثُمَّ يَرُدُّنَا إِلَى الصَّبْرِ وَعَدُّ الْأَجْرِ عَنْهُ فَتَزَعَبُ
وَلَيْسَ يُطَاقُ الصَّبْرُ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ نَحَاوُهُ، لَكِنَّ نَكْلًا وَتَغْلِبُ

وهي أبيات يفوح بالشعر والحكمة شذاها الذي لا أدري كيف وجدتني مدفوعاً بتنسمه إلى متابعة رائع قوله، مستوحياً منه قطعة أركبها عليه، أعبر فيها عما خلف في نفسي فقد هذا الأخ الكبير الذي لقيته في أول الطريق، فخباني حنو الأب والأستاذ، وسلك بي منعطفاً صعب المجاز، حين أتاح لي أولى خطواتي⁽¹⁾ في كتابة المقالة، وكان يود أن يفسح لي مجال القصيد كذلك، فلعله - أثابه الله وجزاه - أن يرضى عنها مثما رضى عن تلك البواكير، وأن يتقبلها نفقة صادقة أختم بها هذه الكلمة، وفيها أقول:

وَهَلْ يَصِيرُ الْمَكْلُومُ يَفْقِدُ خَلَّهُ يُغَالِبُ أَرْزَاءَ الْقَضَاءِ فَتَغْلِبُ ؟
عَدَوْتُ بِمَنَأَى بَعْدَ مَا كُنْتُ جَانِي وَكُنْتُ بِصَفْوِ الْوَدِّ لِلْبُعْدِ تُقْرَبُ
أُنَادِيكَ يَا حَبِيَّ فَلَا مَنْ يُجِيبُنِي وَأُنْدُبُ حَطًّا كُنْتُ بِالرُّوحِ أَخْطُبُ
أُنَاجِيكَ وَالطَّيْفِ الْمُؤَرَّقِ مُقَلَّتِي وَأَنْزَفَهَا وَالِدَمْعِ لَيْسَ يُجْجَبُ
وَكَسَرْتُ كَأَسِي فَاصْ مُرًّا حَبَابَهَا وَكَانَتْ بِأَمْسِي مُرَّهَا بِكَ يَعْذُبُ

.....

(1) كان رحمه شجعتني على نشر مقالتي الأولى في المجلة التي كان يشرف عليها (هنا كل شيء) وكانت تصدر أوائل سنوات الخمسين، وأنا يومئذ تلميذ في المرحلة الثانوية.

فُجِعْنَا لِفَقْدِ الْإِلْفِ فَقَدِكَ لَا يَرَى
فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ رِفَاقِكَ مَنَزِلٌ
وَأَوْحَشَ نَادِي رِفْقَةِ الْعَمْرِ غَمَّةً
وَيَبْكِيكَ فِينَا مَنْ عَرَفَتْ وَغَيْرَهُمْ
سِوَاكَ هُوَ الْإِلْفُ الْأَلِيفُ الْمَحَبَّبُ
تَبَوَّأَتْهُ وَالْقَلْبُ بِالْحُبِّ يُسَلِّبُ
وَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا فَهَاهِي تَنْدُبُ
سَخِينِ دُمُوعِ هَمِّ لَيْسَ تَنْصُبُ

.....

إِذَا مَا الْفَاجِعَاتُ جَلِيْنَ يَوْمًا
سَأَحْتَسِبُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ تَيَقُّنًا
وَأَنْ نَأْيَ الْمَوْتِ حَتَّى إِلَى لِقَا
فَمَا صَابَنِي شَمْسِي لِغَيْبِكَ تَغْرُبُ
رُجُوعِي إِلَى مَنْ لَا يَغِيبُ وَيَذْهَبُ
وَإِنَّ اللَّقَافِي الْكَوْثَرَ الْعَذْبُ نَشْرَبُ

بعث عباس الجراري إلى الشاعر محمد بن الراضي⁽¹⁾ مجموعة من كتبه التي تيسرت له، وهي:

«فنية التعبير في شعر ابن زيدون»، «أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع»، «في الإبداع الشعبي»، «بحوث مغربية في الفكر الإسلامي»، «الفكر والوحدة»، «الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحي»، «عبقرية اليوسي»، «معالم مغربية»، في «الشعر السياسي»، «معركة وادي المخازن في الأدب المغربي»، وجعل معها بطاقة كتب عليها:

إِلَى الْأَدِيبِ الْأَلْمَعِيِّ ابْنِ الرَّاضِي هَدِيَةِ الْكُتُبِ مِنْ الْجُرَّارِي
عُرْبُونَ وَدِّ وَإِحَاءٍ وَوَفَا وَصَدَقَ حُبٌّ وَثَنًا وَصَفَا

(1) الأستاذ محمد بن الراضي (1921-2013) من شعراء المغرب المخضرمين. عاش فترة من حياته زمن الحماية وأخرى في مرحلة الاستقلال. وهو أحد رجالات الحركة الوطنية، صاحب نشيد «يا صاحب الصولة والصولجان» الذي وضعه في الفترة التي كانت تعد فيها وثيقة المطالبة بالاستقلال، وقد لحنه وأداه الأستاذ أحمد البيضاوي.

وقد شفح الشاعر الجراري هذه الهدية بمقطوعة شعرية بعنوان:

نجم الموسم⁽¹⁾

قال⁽²⁾:

قَوْمُوا أَهْتَفُوا حَيُّوا الْأَدِيبَ مُحَمَّدًا نَجَلَ الرَّضِي لِمَا أَفَادَ وَأَنْشَدَا
بِالشَّعْرِ بِالثَّرِ الْجَمِيلِ يَصُوعُهُ أَحْيَا النَّدِيَّ مُحَرِّكَاً وَمُجَدِّدَا
هَذِي الْقَصَائِدُ قَدْ تَنَاطَرَتْ فَوْحَهَا عَبَقَ الرِّحَابُ بِهَا مُجِيدَا
أَمَّا الْمَقَامَةُ لَا تَسْأَلُ عَنْ حَبِّهَا وَالسَّنْبُكَ فِي دُرِّ تَفُوقِ الْعَسْجَدَا
حَيِّيتِ يَا حَبَّ الْجُمُوعِ وَفَخَّرَهَا وَلِيَهِنَا أَنْتَ كُنْتَ أَنْتَ الْمَفْرَدَا
قَدْ كُنْتَ دَوْمًا فِي الرِّبَاطِ مَنَارَةً وَالتَّجْمُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ تَوْقُدَا
وَلِيَهِنَكَ السِّخْرُ الَّذِي أَبْدَعْتَهُ وَجَزَاكَ أَنْ تُعْطَى الثَّنَاءَ وَتُحْمَدَا
أَنْتَ الْحَقِيقُ بِكُلِّ مَا تَحْظَى بِهِ هَذِي الْجَوَائِزُ فَأَقْبَلْهَا لِنَسْعَدَا

(1) المقصود بـ«الموسم» موسم النشاط الأدبي للنادي الجراري، الذي يبتدئ أول شهر شتنبر من كل عام، وينتهي آخر شهر يوليوز. وقد كانت مشاركة الأستاذ محمد بن الرازي - وهو أحد شعراء النادي الجراري - متميزة خلال موسم 1991-1992، فاعتبره عميد الأدب المغربي، رئيس النادي، «نجم الموسم»، ودوّن الحدث شعراً.

(2) كتبت هذه المقطوعة يوم الجمعة 30 محرم 1413هـ الموافق 31 يوليوز 1992م.

في إحدى زيارات الشاعر الجرازي لدولة الإمارات العربية، واستضافته في قصر الشاعر العتيبة، كتب قصيدة بعنوان «حبي للعتيبة دائماً»، وشفعها بالرسالة التالية:

الحمد لله وحده الرباط 26 رجب 1414هـ الموافق 8 يناير 1994م

إلى معالي الدكتور مانع سعيد العتيبة⁽¹⁾
المستشار الخاص لصاحب السمو
رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

حفظه الله ورعاه

معالي الأخ العزيز،

تحية وسلاماً مشفوعين بالدعاء إلى العلي القدير أن تكونوا في صحة وعافية وسعادة وهناء، ومقرونين بأصدق آيات الشكر والعرفان لمعالكم أن أقتم في قصركم

(1) الدكتور مانع سعيد العتيبة، شاعر إماراتي، شغل منصب المستشار الخاص، لصاحب السمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله. كما شغل منصب وزير البترول والصناعة في دولة الإمارات. له عدة دراسات اقتصادية منها كتابه «اقتصاديات أبو ظبي قديماً وحديثاً»، و«البترول واقتصاديات الإمارات العربية المتحدة»، وهو موضوع أطروحته للحصول على الدكتوراه. أصدر الدكتور العتيبة عدة دواوين شعرية ضمت قصائد في مختلف الأغراض، كما أنه كتب الشعر المعرب والعامي.

العامر ذلكم الحفل الرائع للوفد المغربي الذي كان في ضيافة دولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة يشاركها بهج والحبور بعيدها الوطني الثاني والعشرين.

وبعد، فقد كنت وأنا أودعكم إثر هذا الحفل الكريم، أخبرتكم بأن المقام أوحى لي بقطعة شعرية على غرار ما سبق في الطائرة حيث تطارحنا أبياتاً تبادلنا بها صادق المودة وخالص التقدير.

وكنت وعدت بأن أرسلها إليكم. وبالفعل، ما كدت أعود إلى الفندق في مساء ذلكم اليوم الأغر: الثلاثاء 24 جمادى الثانية 1414هـ الموافق 7 ديسمبر 1993م، حتى حررت لكم القطعة المذكورة، على أن أوافيكم بها بمجرد العودة إلى المغرب. إلا أن ظروف السفر وكثرة المشاغل حالت دون الإسراع بإيرادها إليكم.

وها أنذا - ولو بعد مدة- أشرف وأسعد بأن أبعثها، آملاً أن تجدوا فيها خير تعبير عما تركه استقبالكم الأريحي الكريم وضيافة الدولة الشقيقة العزيرة في نفسي من أثر لعل الكلمات لا تسعف في الإعراب عنه.

فلتتقبلوها مني خالصة صادقة، ولتنظروا إليها بعين الرضا والسماحة.

حبي للعتيبة دائم

قَفْ يَا زَمَانُ وَحُطَّ رَحْلَكَ هَاهُنَا
 هَذِي الْإِمَارَاتُ الْمَيِّرَةُ أَشْرَقَتْ
 هَذِي مَرَابِعُ إِخْوَتِي أَكْرَمَ بِهِمْ
 هَذِي لُحُوبٌ بَشَائِرٌ نَعْمَائِهَا
 طَرِبًا بِمَا جَادَتْ بِهِ لِحَظَائِمِهَا
 وَأَبْنُ السَّعِيدِ يَرَى الْوُفُودَ مُرَجَّبًا
 كَلِفًا بِمَا سَاقَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْهَوَى
 الشَّاعِرُ الْخُنْدِيدُ قَدْ عَلِمَتْ بِهِ
 الشَّهْمُ إِذْ عَزَّتْ شَهَامَةُ أُمَّتِي
 الْحُبُّ قَدْ سَكَنَ الْقُلُوبَ وَإِنْ تَشَا
 سَتَقُولُ: حَبِّي لِلْعَتِيبَةِ دَائِمٌ
 هُوَ حَافِظٌ لِلْعَهْدِ مُوثِقٌ أَصْرِهِ
 وَأَهْتَفُ بِأَنْ نِلْتَ الْمُرَادَ مَعَ أَلْمَى
 يَنْسِي الْعُقُولَ جَمَالَهَا وَيَشُدُّنَا
 قَدْ طَالَ شَوْقِي لِحُومِهِمْ حَتَّى الْعَنَا
 يَشُدُّو بِهَا حَادِيِي الطَّبَاءِ وَبِالْعَنَا
 غُرًّا أَنْزَارَتْ بِالصِّيَاءِ وَبِالسَّنَا
 مُتَهَلِّلًا بِأَدْيِ الْمَسْرَةِ وَالْهَنَا
 وَبِمَا تَسَاقَى مِنْ أَفَانِينَ الثَّنَا
 وَيَشْعُرُهُ تَمَلَّتْ تُرْدَدُهُ الدُّنَا
 فَاقَ الْقَصِيَّ بِنُبْلِهِ أَوْ مِنْ دَنَا
 فَاسْأَلْ عِيُونَ الْحَاضِرِينَ وَقُلْ لَنَا؟
 إِذْ هُوَ مَانِعٌ أَنْ يُفَرِّقَ شَمْلُنَا
 بِالنَّيِّرِينَ قَدْ أَرَدَهُى وَتَرَيَّنَا:

حَسَنِ الْمُلُوكِ وَفَخْرٍ يَغْرِبُ كُلِّهِمْ وَالشَّيْخَ زَائِدَ زَيْتُهُمْ عِزُّ لَنَا
فَأَحْفَظُهُمَا يَا رَبِّ فِي أَعْلَى الدُّرَى وَأَدِيمُهُمَا مَجْدًا يُتَوَجُّ قَوْمَنَا⁽¹⁾
محبكم: عباس الجراري

(1) وصادف أن نُظِّمَ تكريمًا للدكتور عباس الجراري في فاس، فنظمت الدكتور العتيبة قصيدة تذكّر فيها القصيدة الجرارية. يقول مطلع قصيدة الشاعر الإماراتي:
يَا صَاحِبِي يَا نَهْرَ فِكْرٍ جَارِي الْأَرْضُ فِي سَوْقٍ إِلَى الْأَنْهَارِ

نظمت للدكتور مانع سعيد العتيبة ندوة تكريمية بمدينة فاس، وكان مقرراً أن يشارك فيها الدكتور عباس الجراري، غير أن ظروفًا طارئة حالت دون هذه المشاركة، فكتب الجراري للشاعر المحتفى به، قال⁽¹⁾:

إلى أخي الكريم معالي الأستاذ الدكتور مانع سعيد العتيبة، بعد أن تعذر علي - بسبب مهمة في الخارج - أن أحضر ندوة تكريمه بفاس، وأن أشارك فيها بما كان في النية والعزم:

وفاتني ركب الحبيب

وَفَاتَنِي رَكْبُ الْحَبِيبِ
وَفَقَدْتُ آثَارَ أَقْتِفَاهِ
وَالْمُوكِبِ الْعِطْرِيِّ سَارَ إِلَى مَدَاهِ
وَكَوَاكِبِ الشَّعْرِ الْجَمِيلِ بِالْغَةِ السَّحَابِ
لَكِنِّي بِأَسَى شَدِيدٍ فِي غِيَابِ
فِي التِّيهِ صَاعَتِ بِي الْخُطَى خَلْفَ السَّرَابِ
وَالْمُتْرَعَاتُ مِنَ الْكُؤُوسِ اسْتَفْرَعَتْ حَتَّى الصُّبَابَةِ

(1) الرباط، 19 محرم 1421هـ = 24 أبريل 2000م.

هَشَّمْتُ أَقْدَاجِي وَكَسَرْتُ الْقِدَاحَ مَعَ الرَّبَابَةِ
هَلْ يُحْظِيَنِي « السَّعْدُ » أَمْ « يَمْنَعُهُ » « الْعِتَابُ »
مِثِّي لَهُ « الْعُتْبَى » إِلَى نَيْلِي رِضَاهُ

مع الشاعر عبد اللطيف خالص⁽¹⁾

في إحدى المناسبات بعث الشاعر الجراي إلى صديقه الشاعر عبد اللطيف خالص بهذه المقطوعة، مهداً لها بالعبارة التالية:

« كنتُ غبت جمعة 19-7-96، بسبب سفري إلى اليمن عبر مصر، لحضور ندوة تربوية دولية، نظمها الايسيسكو في صنعاء، واجتمع أعضاء النادي في منزل السيد عبد اللطيف خالص ». »

وحينما علم الأستاذ عباس الجراي باستضافة الشاعر عبد اللطيف خالص لأعضاء النادي الجراي بمنزله نيابة عنه، كتب إليه بعد عودته يقول⁽²⁾:

قَالُوا الْعُرُوبَةَ عِنْدَ خَالِصٍ جِئْنَا رَأَيْتُ وَفَاقَتْ مَا عَدَيْتَ وَتَعَامُ
قَدْ فَاتَكَ السَّحْرُ الْمُدَابُّ بِشِعْرِ مَنْ يُرْضِي الرِّفَاقَ إِذَا يَشَاءُ فَيُنْظِمُ
وَأَلْقَاهُ الْأَشْهُى بِصِرْفِ مَذَاقِهَا أَوْ مَرْجَهَا بِلَدَاذَةٍ تُتَنَسَّمُ

(1) عبد اللطيف أحمد خالص (1935-2013)، من الأدباء المغاربة الذين ساهموا بفعالية في الحركة الثقافية بالمغرب، نشر العديد من الدراسات والمقالات في صحف ومجلات مغربية مختلفة. بدأ في نشر أشعاره منذ سنوات الخمسين من القرن العشرين، واستمر في الكتابة الشعرية إلى العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. جمع كتاباته الشعرية والنثرية تحت عنوان « الخالصيات»، وكان رحمه الله بصدده تهيئتها للطبع قبل وفاته. وما يزال هذا الإنتاج إلى حدود اليوم (2016) مخطوطاً في خزنة أسرته.

(2) كتبت هذه المقطوعة، يوم الجمعة 9 ربيع الأول 1471هـ = 1417هـ = 26 يوليوز 1996م.

وَالشَّايِ أٰخٰلٰى مَا يَكُوْنُ مَعَطَّرًا
وَالْحَلْوِيَّاتُ وَمَا يَطِيْبُ شَرَابُهُ
حَتَّىٰ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ لِمَغْرِبِ
هَبْنِي أَضْطَرُّرْتُ إِلَى الْغِيَابِ مُوقْتًا
وَالنَّعْنَعُ الصَّافِي الْبَهِيِّ مُقَدَّمُ
وَالسَّاقِي يَوْمِي لَا يُرَى يَتَكَلَّمُ
قَامَ الْجَمِيعُ إِلَى الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ
أَيُّضِيْعُ حَقِّي فِي الْكِرَامِ وَأُحْرَمُ؟
لَا لَنْ يَضِيْعَ وَإِنِّي لَمَلَأِحُّ
خَلِي اللَّطِيْفِ وَإِنَّهُ لِلْأَكْرَمِ

ألقي الشاعر عباس الجراي هذه القصيدة، في حفل تأبين الفقيه المرحوم محمد حكم⁽¹⁾، مساء الجمعة 17 صفر 1422هـ الموافق 11 مايو 2001م بقاعة ولاية الرباط.

أنساه ؟

تُؤخِرُ رِبَاطُ الْفُتْحِ تَبْكِي وَتُنْدُبُ وَيُزْرَأُ أَهْلُونَا جَمِيعاً وَنُحِبُ
فَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَكْبَةٌ إِثْرُ فَاجِعٍ نَوَائِبُ تَثْرَى مُوجِعَاتٍ وَتَسْلُبُ
مَصَائِبُ تَنْتَابُ الْكِرَامَ، وَتَنْتَقِي أَعْرَاءَ قَوْمِي، بِالْأَمَاجِدِ تَذْهَبُ
مَآسٍ تَحْتُ الْعَيْنِ، دَوْمًا عَلَى الْبُكَاءِ وَتَطْفُو بِمَا فِي النَّفْسِ طُورًا وَتَرْسُبُ
كَوَارِثَهَا كَالصَّاعِقَاتِ لَوْعِهَا فُوَادِي بِهَا أَضْحَى يَسْرُ يُعَدِّبُ
تَحْمَلُهَا رَغْمَ الْفَدَاحَةِ صَابِرًا فَلَيْسَ لِعَيْرِ الصَّبْرِ عِنْدِي مَهْرَبُ
وَقَدْ كُنْتُ بِالْكِثْمَانِ أَبْدُو، فَهَذِهِ تُقْضُ ضُلُوعِي وَالْمَدَامِعُ تَسْكُبُ
وَهَلْ لِي أَنْ أُخْفِيَ أَسَايَ عَلَى الَّذِي بَقَلِي لَهُ ذِكْرِي مُخْضٌ وَتُلْهَبُ؟

(1) محمد بن أحمد حكم، فقيه وقاض وشاعر، وعضو النادي الجراي. ولد بمدينة الرباط سنة 1924 وانتقل إلى رحمة الله سنة 2001. وبمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لوفاته، صدر ديوانه الشعري (أبريل 2016)، من إعداد ابنه الزبير حكم وتقديم د.عباس الجراي.

قَصَى حَكْمَ خَلِّ الصَّفَاءِ وَمَنْ لَهُ قَصَى حَكْمَ خَلِّ الصَّفَاءِ وَمَنْ لَهُ
 بَقِيَّةُ أَسْلَافٍ كِرَامٍ مَضَوْا لَهُمْ بَقِيَّةُ أَسْلَافٍ كِرَامٍ مَضَوْا لَهُمْ
 لَقَدْ كَانَتْ فِرْعَا مِ مِنْ أَصُولِ عَلَا بِهَا لَقَدْ كَانَتْ فِرْعَا مِ مِنْ أَصُولِ عَلَا بِهَا
 وَكَانَتْ بِحَقِّ لِلْمَعَالِي مَنَارَةً وَكَانَتْ بِحَقِّ لِلْمَعَالِي مَنَارَةً
 أَدِيبٌ، وَإِنْ تَسَأَلَ كِلَانَا مُسَاجِلٌ، أَدِيبٌ، وَإِنْ تَسَأَلَ كِلَانَا مُسَاجِلٌ،
 وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُصْعِغَ لِأُغْنِيَةِ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُصْعِغَ لِأُغْنِيَةِ لَهُ
 فَفِيهِ جَلِيلٌ لَا يُبَارَى وَقَدْ عَدَا فَفِيهِ جَلِيلٌ لَا يُبَارَى وَقَدْ عَدَا
 فَمَنْ لِيخْلِيلٍ إِذْ يَفُكُّ غُمُوضَهُ فَمَنْ لِيخْلِيلٍ إِذْ يَفُكُّ غُمُوضَهُ
 وَمَنْ لِلْقَضَا بِالشَّرْعِ وَالْعَدْلِ قَائِمٌ وَمَنْ لِلْقَضَا بِالشَّرْعِ وَالْعَدْلِ قَائِمٌ
 وَمَنْ لِلْكَرَاسِيِّ، لِلْعُلُومِ بِسُنَّةٍ (1) وَمَنْ لِلْكَرَاسِيِّ، لِلْعُلُومِ بِسُنَّةٍ (1)
 وَمَنْ لِلدُّرُوسِ أَلْوَعْظِيَّاتٍ هَفَّتْ لَهَا وَمَنْ لِلدُّرُوسِ أَلْوَعْظِيَّاتٍ هَفَّتْ لَهَا
 وَمَنْ لِلرِّبَاطِ أَلْيَوْمِ إِذْ نَاحَ مَجْلِسٍ (3) وَمَنْ لِلرِّبَاطِ أَلْيَوْمِ إِذْ نَاحَ مَجْلِسٍ (3)

(1) إشارة إلى قصيدة الشاعر محمد حكم:

يا حبيبا أنا أهوا هُ ومن قلبي قريبُ

التي لحنها وأداها الأستاذ أحمد البيضاوي. انظرها في ديوان الشاعر، ص، 60، وفي كتاب « شعراء النادي
الجراري: الشاعر والنص »، محمد احميدة، ص، 332.

(2) مسجد السنة بمدينة الرباط، حيث كان الفقيه حكم يلقي بعض دروسه.

(3) إشارة إلى عضويته في المجلس العلمي للرباط وسلا والنواحي.

وَمَنْ يَحْمِلُ الرَّايَاتِ بَعْدَهُ دَاعِيَا
 وَمَنْ لِي بِنَادٍ إِذْ خَلَا مِنْهُ مَنزِلِي؟
 سَتَبْكِيهِ هَذِي كُلُّهَا فَهِيَ بَعْدَهُ
 وَأَبْكِيهِ خَلًّا بِالْوَفَاءِ عَهْدُهُ
 أَسْلُو وَخَلِّي فِي النَّزَى لَا يُجِيبُنِي
 أَأَنْسَاهُ بَعْدَ الذِّكْرِ وَالْوُدِّ بَيْنَنَا؟
 كَذَا هِيَ دُنْيَانَا وَلَسْنَا سِوَى بِهَا
 فَذَاكَ الْمَصِيرُ الْحَمُّ لَيْسَتْ تَرْدُهُ
 وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَى وَأُنْجَبَ صَفْوَةٌ
 سَلَامٌ مِنَ الْمُؤَلَى وَسَقِيًّا لِقَبْرِهِ
 لِدَيْنٍ بِيُسْرٍ لَيْسَ فِيهِ تَعَصُّبُ
 لِمَنْ يَا تُرَى قَوْلِي: «أَهْلًا» أُرْجَبُ؟
 يَيْتُمْ، فَلَا أُمُّ تَحْرُبُ وَلَا أَبُ
 وَمَا كَانَ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ يَنْصُبُ
 وَأَزْثِيهِ فِي حُزْنٍ وَقَدْ كَانَ يَنْسُبُ؟
 بَلَى، هِيَ عُهُودٌ لَيْسَ تُنْسَى وَتَغْرُبُ
 عُبُورًا إِلَى الْأُخْرَى نُسَاقُ وَنُسْحَبُ
 عِلَاجَاتُ طِبِّ أَوْ كِتَابٍ يُحْجَبُ
 بُرُورٌ وَعَظْمٌ، وَالْكَوَكِبُ تُنْسَبُ
 بِفَوْحِ الشَّدَا، نَدٌّ وَعَطْرٌ مُطَيَّبُ

نفثة مكلوم¹

اللّه قُلْ، إِمَّا تُصَابُ وَتُوجَعُ
فَإِلَيْهِ مَا عِشْنَا نَعُودُ وَنَزْجَعُ
حُمَّ الْقَضَاءِ فَلَا سَبِيلَ لِرَدِّهِ
فَالْكُلُّ يُلْقَى فِي ثَرَاهُ وَيُودَعُ
هِيَ سُنَّةٌ فِي الْخَلْقِ يَحْكُمُهَا الَّذِي
يُعْطِي الْحَيَاةَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
الْمَوْتَ كَمْ أَفْنَى لَنَا مِنْ جِلَّةٍ
وَأَجَبَةٍ نَأْسَى لَهُمْ وَنُرْوَعُ

(1) كتبت هذه القصيدة بعد ظهر الجمعة 5 صفر 1428هـ الموافق 23 فبراير 2007، في رثاء الأستاذ

الدكتور علال الغازي رحمه الله.

الدكتور علال الغازي أستاذ جامعي، من مواليد تاونات سنة 1944. عمل أستاذاً للنقد الأدبي في كلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط، كما عمل أستاذاً بجامعة الفاتح في «ليبيا»، ثم بكلية التربية بمدينة «عبري» في «سلطنة عُمان»، فجامعة «نزوى» بنفس البلد. توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 26 دجنبر 2006 إثر حادثة سير في «عُمان»، ونقل جثمانه إلى المغرب يوم الخميس 28 دجنبر، حيث دفن في نفس اليوم بمقبرة الشهداء بالرباط، بعد صلاة الظهر.

من مؤلفاته: «المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع» لأبي محمد القاسم السجلماسي، ط، 1980، «مناهج النقد الأدبي بالمغرب خلال القرن الثامن للهجرة»، ط، 1999.

رَاحَ الْحَبِيبُ أَخِي الَّذِي عَاشَرْتُهُ
 عُمُرًا جَمِيلًا فِي صَفَاءِ نَزْعِ
 غَابِ الصَّدِيقِ وَمَنْ سَعَدْتُ بِقُرْبِهِ
 وَبِهِ قَوِيْتُ إِذَا الْخُطُوبُ تُصَدِّعُ
 قَدْ كَانَتْ بَيْنَ رِفَاقِهِ مُتَّفِرِدًا
 عِنْدَ التَّوَائِبِ لَا يُرَى يَتَضَعُّعُ
 يَأْسُو الْجِرَاحَ، يُقِيلُ عَثْرَةَ مُعْوِزِ
 عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِالْعَطَايَا يُسْرِعُ
 قَدْ كَانَتْ يَغْضَبُ لِلْفَضَائِلِ كَلْمًا
 مُسَّثٌ يَقُومُ وَبِالْحَقَائِقِ يَصْدَعُ
 يُوعِي الْأُلَى خُدَعُوا بِغَيْرِ مَلَامَةٍ
 وَالْمَرءُ فِي غَفْلَاتِهِ قَدْ يُخْنَدُ

أَيُّنَ الْوَفَاءِ؟ وَهَلْ وَفَاءٌ بَعْدَهُ؟
 أَمْ أَيُّنَ عَهْدِ الصِّدْقِ لَا يَتَزَعَّرُ؟
 أَيُّنَ الْمَكَارِمِ؟ كُلُّهَا ضَاعَتْ فَلَا
 مَنْ يَبْتَغِي عِزًّا بِهَا أَوْ يَطْمَعُ

قَدْ كَانَتْ يَحْمِلُ لِلْعُلُومِ لَوَاءَهَا
بِجَهَادِهِ فِي الدَّرْسِ وَالْبَحْثِ « يُبَدِّعُ »
وَالنَّقْدِ إِنَّ تَسْأَلَ فَدَاكَ مَجَالُهُ
وَإِذَا جَحَدْتَ فَلِلْبَيَانِ « الْمَنْزَعُ »

كَمْ كَانَتْ يُنْهَضُ لِلشَّبَابِ عَزَائِمًا
يَهْدِيهِمْ لِلجِدِّ، وَالتَّهْجِ مَهْيَعُ
لَمْ أَلْقَهُ إِلَّا يُحَاوِرُ نُخْبَةً
أَمَّا التَّقَاشُ فَمَثَلِ نَجْمٍ يَطْلُعُ
كَمْ كَانَ لِي نِعَمَ الرَّفِيقِ بِمَجْلِسِ
يُضَعِّقُ إِلَيْهِ وَبِالْفَوَائِدِ يُمْتَعُ
قَدْ أَوْزَتْ الأَجْيَالَ مَا لَهَجُوا بِهِ
عِلْمًا وَخُلُقًا فِي سَخَاءٍ يُمْرَعُ

« عَلَّالُ » إِنَّكَ لِلْمَعَالِي خَيْرُ « غَا
زِ » وَاللَّذِي تَسْمُو بِهَا وَتُرْفَعُ
فَارْقَتْنَا وَالرُّزْءُ لَيْسَ مُفَارِقًا

مَاذَا عَسَى الْمَكْلُومُ بِالمَوْتِ يَصْنَعُ؟
لَسْتُ الصَّدِيقَ، إِذَا بُكَّئِي قَدْ جَفَا
وَإِذَا لِعَيْنِي لَا تُجِيبُ وَتَدْمَعُ
لَا كُنْتُ جِبَّكَ إِنْ سَلَوْتُ مَحَبَّةً
وَالْقَلْبُ مِنْكَ وَبِالنَّجِيبِ يُقَطِّعُ

إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَنْ أَنْسَى مَوَائِقَنَا
مَا دَامَ ذِكْرُكَ مِسْكُهُ يُتَضَوُّعُ
وَلْتَهْنِ فِي نَعَمِ الْجِنَانِ وَبِهَجَّةِ
وَأَعْلَمُ بِأَنَا فِي الْقَرِيبِ سَجْمَعُ
وَلِيَبْقَ أَهْلُكَ وَالْأَوْلَادُ يَنْفَعُهُمْ
رِضَاكَ عَنْهُمْ فَلَا ضَيْمٌ وَلَا جَزَعُ

يرتبط النادي الجراري مع «منتدى الأدب لمبدعي الجنوب»⁽¹⁾ باتفاقية شراكة للتعاون في المجال الثقافي منذ سنة 2009. وعلى أساسها تم تنظيم لقاءات ثقافية وندوات علمية، في الرباط وتارودانت، بل امتد هذا التعاون إلى مجال النشر. وفي إحدى الزيارات التي استضاف فيها «النادي الجراري» بمدينة الرباط أعضاء «منتدى الأدب لمبدعي الجنوب»، نظم رئيس النادي الجراري الدكتور عباس الجراري هذه القصيدة مرحبا بضيوفه، وأنشدها في «زهرة الآس» مقر النادي، بعد عصر يوم الجمعة 7 جمادى الأولى 1433هـ الموافق 30 مارس 2012م.

حَيِّ الْأَجْبَةِ

حَيِّ الْأَجْبَةِ وَأَعْرِفْ نِعْمَةَ الطَّرْبِ
وَأَشْرَبْ كُؤُوسَ الْهَوَى مَعَ مُنْتَدَى الْأَدَبِ
أَبَشِّرْ بِمَقْدَمِهِمْ وَأَنْعَمْ بِوَصْلِهِمْ
فَالشُّؤْفُ طَالَ وَمَا لِلْبُعْدِ مِنْ سَبَبِ
شَارِكُهُمْ مُتَعَةً الْإِبْدَاعِ إِنَّهُمْ
بِالسُّوسِ دَوْمًا هُمْ لِلشَّعْرِ كَالشُّهْبِ

(1) تأسس «منتدى الأدب لمبدعي الجنوب» بمدينة تارودانت، بتاريخ 24 نونبر 2002م.

بَلْ هُمْ بِمَغْرِبِنَا أَبْنَاءُ بِجَدَّتِهِ
 إِنَّ لَمْ أَقُلْ وَكَذًا طُرّاً عَلَى الْعَرَبِ
 حَلُّوا بِرَهْرَةَ آسِ (1) هُمْ تَوَائِمَهَا
 وَهُمْ بِرُودَانَةَ فِي مُعْتَلَى الرُّتَبِ
 أَحْيُوا مَا تَرَهَا زَانُوا مَعَالِمَهَا
 وَأَبْرَزُوا مَجْدَهَا فِي الصُّحُفِ وَالْكَتُبِ
 أَهْلًا بِلُقْيَاهُمْ نَادِي الْجِرَارِيِّ بِهِمْ
 يَزْهُو أَفْتِخَاراً عَلَى الْأَقْرَابِ وَالنَّحْبِ
 يَرْجُو الْوِصَالَ دَوَاماً غَيْرَ مُنْقَطِعِ
 فِي السُّوسِ أَوْ بِرِبَاطِ الْفَيْثِيَةِ التُّجْبِ
 إِنَّ الْوِصَالَ مَعَ الْإِخْوَانِ مَكْرَمَةٌ
 أَسْعَى لَهَا فَهْيَ لَا تَخْفَى مِنَ الْقُرْبِ
 أَحْيِي بِهَا ذَكَرَ مَنْ أَسْمُو بِنِسْبَتِهِ
 مَنْ كَانَ لِي خَيْرَ أُسْتَاذٍ وَخَيْرَ أَبِ

(1) الاسم الذي يحمله مقر النادي الجراري بالرباط.

وقال مرجباً بالرئيس الشرفي لـ «منتدى الأدب لمبدعي الجنوب» السيد
محمد الدعداع وسائر أعضاء المنتدى:

دَعُوا الظَّيَّاءَ⁽¹⁾

دَعُوا الظَّيَّاءَ تَزَعُ وَأَنْشِدُوا وَأَسْمِعُوا
مَنْزِلَنَا فِي بَهَجٍ فَقَدْ أَتَانَا الدَّعْدَعُ⁽²⁾
فُولُوا لَهُ: أَهْلًا بِهِ وَبِالَّذِينَ أْبَدَعُوا
فِي مُنْتَدَى الْأَدبِ لَهُ زِدَانٌ مَوْضِعُ
هُوَ الَّذِي يَخْضُصُهُمْ هُوَ الرَّئِيسُ الْأَزْفَعُ
وَمَنْ يَشَاتُ غَرِيفَهُ فَمَوْكَشْمِسٍ تَسْطَعُ
سَلِيلِ أَغْيَانٍ بِهَا هُمْ سُبَّجْدٌ هُمْ رُكَّعُ
لَهُ بِهَا تَجَارَةٌ وَحَزَتْ أَرْضٌ تُزْرَعُ

(1) أُلقيت بالنادي الجراي ترحيباً بالرئيس الشرفي لمنتدى الأدب لمبدعي الجنوب وسائر أعضائه بمناسبة زيارتهم للنادي بعد عصر الجمعة 7 جمادى الأولى 1433 هـ الموافق 30 مارس 2012م.

(2) توج الحاج محمد الدعداع بالرئاسة الشرفية لمنتدى الأدب لمبدعي الجنوب، يوم الجمعة 16 أبريل 2010 في حفل كبير نظم في مدينة تارودانت، وقد شارك النادي الجراي في هذا الحفل، وألقى الأستاذ محمد احميدة مؤرخ النادي، كلمة بالمناسبة، نيابة عن الرئيس الدكتور عباس الجراي.

لَيُمُونُهَا بِطَعْمِهِ	وَيَحْجِمُهُ يُمْرَعُ
كَذَاكَ زَيْتُونٌ بِهَا	هُوَ الشَّهِيرُ الْأَرْفَعُ
وَزَيْتُهُ كَالشَّهْدِ بِلْ	هُوَ الْمُحَلَّى الْأَرْوَعُ
قَدْ ذُقْتُ مَنْ ذَاكَ وَذَا	وَالْتَّبَعِ مِنْهُ أَكْرَعُ
فِي رَوْضَةٍ مَعَ أَهْلِنَا	وَالطَّيْرُ صُبْحاً تَسْجَعُ
مَعَ قَهْوَةٍ وَعَسَلٍ	أَمْلُوبِهِ يُشْعَشَعُ
كَذَا الْحَسَاءِ لِأَرْمٍ	وَالشَّايِ لَا يُصَيِّعُ
وَكَمْ مَأْدِبٍ لَهُ	مَعَ نُحْبٍ تُشْرَعُ
مُهْلًا يَلْقَى بِهَا	صُيُوفُهُ وَيَبْرَعُ
حَضْرَتُهَا كَمْ مَرَّةٍ	مَوَائِدُ تَوْزَعُ
شِوَاءَهَا دَجَاجَهَا	وَكُسْكُسُ يُصَنَّعُ
جَمِيعَهَا مُرُونُقٍ	عَلَيْهَا الْكُلُّ أَجْعُوا
وَمَنْ يَسَلْ زِيَادَةَ	فَهُوَ الْأَبْرُ الْأَشْجَعُ
وَهُوَ الْبَشُوشُ دَائِمًا	وَالشَّعْرُ مِنْهُ يَلْمَعُ
مُحَنِّكَ بِعِلِّهِ	وَخَبْرَةٌ لَا تُقْرَعُ
كَمْ قَدْ أَفَدْتُ مِنْهُمَا	وَكُلُّ مَا قَدْ يَنْفَعُ

أَمَّا التِّكَاثُ عِنْدَهُ فَنَفِي اللِّسَانِ أَطْوَعُ
وَمَنْ يَوَدُّ نَشْوَةَ بِدَقَّةٍ تُؤَقِّعُ
وَرَقَصَةَ سُوسِيَّةٍ فَهُوَ فِيهَا الْمَرْجِعُ
فَاللَّهُ يَرْعَاهُ لَنَا فِي صِحَّةٍ يُمَتِّعُ
فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَالصَّحْبِ لَا يُصَدِّعُ
وَلِلْمُنُونِ كُلِّهَا وَالشَّعْرِ فِيهَا يُبَدِّعُ
أَدَامَهُ فِي نِعْمَةٍ يَشْكُرُهَا وَيُوسِّعُ

جمع الشاعر علي الصقلي طائفة من الأشعار التي دارت بينه وبين الشاعر محمد الحلوي⁽¹⁾، وأصدرها سنة 2014 ضمن كتاب تحت عنوان «بين صديقين، محمد الحلوي وعلي الصقلي»، وبعث بنسخة منه إلى الدكتور عباس الجراري محليّ بالعبارة التالية: «إلى صُيَّابة الأدب والأدباء»، تفكيراً وتديراً وإشعاعاً وإمتاعاً، الأخ الأعز د.عباس الجراري، مع كل التقدير والاحترام.

الرباط في 20 / 08 / 2014، أخوكم المخلص:

علي الصقلي

وكان جواب الشاعر الجراري هذه المقطوعة الشعرية⁽²⁾ بعد أن مهد لها بالعبارة التالية: إلى الصديق الأود، الشاعر الكبير الأستاذ الشريف مولاي علي الصقلي، بعد توصلي أمس بسفره البديع «بين صديقين»، محليّ بعباراته الإهدائية «صُيَّابة...».

(1) محمد الحلوي من كبار شعراء المغرب في القرن العشرين. ولد بفاس سنة 1922 وتوفي بتطوان يوم 24 دجنبر 2004. حاصل على العالمية من القرويين سنة 1947، واشتغل بالتدريس. صدر له من الدواوين: «أنغام وأصداء» سنة 1965، «شموع» 1988، «أوراق الخريف» 1996. ومن مؤلفاته: «معجم الفصحى في العامية المغربية»، ط، 1988.

(2) كتبت هذه المقطوعة، في الرباط، صباح الخميس 24 شوال 1435 هـ الموافق 21 غشت 2014م.

بَلْ أَنْتَ أَنْتَ

بَلْ أَنْتَ أَنْتَ هُوَ الصُّيَابَةُ يَا عَلِيَّ
وَيَمَا كَتَبْتَ وَمَا بَدَلْتَ وَكُلِّ مَا
وَخَصَالٍ عَزَّ لَشَيْءٌ أَقْدِرُ عَدَّهَا
جَلَّهَا مَا أَبْدَعْتَهُ وَقَرَضْتَهُ
وَلَدًا جَمَعْتَ لِخَلِّكَ الْخُلُويِّ مِنْ
مَا كَانَ أَجْدَرَ أَنْ يُدَاعَ بِعَهْدِهِ
وَمُقَدَّرًا عَزَفَاتٍ مِنْ شَهْدُوا لَهُ
فَأَهْنَأُ بِمَا قَدْ نَلْتَهُ وَأَنْلْتَهُ

فِي الْعِلْمِ وَالْآدَابِ وَالسِّحْرِ النَّدِيِّ
أَخْرَزْتَهُ بِالتُّبْلِ وَالطَّبْعِ الْأَبِيِّ
هِيَ مَكْرَمَاتُ الْحَيْمِ وَالْفِكْرِ الْبَهِيِّ
وَالشَّعْرُ أَنْتَ أَمِيرُهُ وَاللَّعْمَعِي
فَيُضِ السَّجَالِ مَعَالِمِ الْخُلُقِ الْوَلُوفِيِّ
كَيْ يَنْتَشِي مُتَفَائِلًا لَا يَنْتَنِي
بِالسَّنْبِقِ فِي الْإِبْدَاعِ وَالشَّدْوِ الشَّجِيِّ
وَأَخْرَزْتَهُ هُوَ الصُّيَابَةُ يَا عَلِيَّ

تكريم الشاعرة السيدة سميرة فرجي⁽¹⁾

إلى الأخت الفاضلة الأستاذة الشاعرة سميرة فرجي، أهدي هذه القصيدة⁽²⁾ التي قلتها بمناسبة تكريمها في فاس يوم 17 مارس 2017م، والتي هي في الوقت نفسه شكر على القصيدة الرائعة⁽³⁾ التي قدمتها في تكريم لي سابق نظم كذلك بفاس قبل هذا التاريخ بنحو ثلاثة أسابيع:

(1) حاصلة على الإجازة من كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بجامعة محمد الأول بوجدة. حاصلة على شهادة الأهلية في المحاماة سنة 1993. محامية مقبولة لدى محكمة النقض. عضوة بالنقابة الحرة للموسيقين المغاربة. شاعرة وباحثة شاركت في عدة ندوات فكرية، ومهرجانات أدبية مغربية وعربية، كما نشرت أبحاثها وقصائدها في عدة منابر إعلامية أدبية داخل المغرب وخارجه. دواوينها:

* ديوان «صرخة حارك»، 2010، مطبعة المعارف، الرباط. ديوان «رسائل النار والماء»، 2013. تقديم الدكتور عباس الجراري، مطبعة المعارف، الرباط.

* ديوان «مواويل الشجن» 2015، مطبعة المعارف، الرباط.

* تناول شعرها بالدراسة والتحليل عدد من النقاد من المغرب والإمارات والسعودية واليمن ومصر والعراق ولبنان.. نذكر منهم على سبيل المثال: عبد السلام الموساوي، ميموني بوتخيل، سيف الجابري، عبد الله المعيقل، عبد الولي الشميري، عمر العاني، عبد المجيد بن الطاهر، مصطفى الشاوي... وغيرهم. ترجم شعرها إلى اللغات: الفرنسية، الانجليزية، الإسبانية، الألمانية، والتركية، الأندونيسية... وإلى لغات أخرى.

(2) كتبت هذه القصيدة في الرباط، بتاريخ 18 جمادى الثانية 1438هـ - الموافق 17 مارس 2017م.

(3) جاءت هذه القصيدة تحت عنوان: « نور » تقول الشاعرة في مطلعها:

أيا مؤلَّ الأجيالِ، عهدك يشهدُ بأنك نورٌ في العُلا يتوقَّدُ

عجرت عن التعبير

عَجَزْتُ عَنِ التَّعْبِيرِ أَبْغَيْ بِهِ شُكْرًا
لَأَنَّ اللَّتِي أَرْجُو بِشُكْرِ جَوَابِهَا
فَرِيدَةَ رَبَّاتِ الْخُدُورِ وَكَوْكَبِ
فَمَهْمَا يَكُنْ فِي الْوُضْفِ لِي مِنْ بَرَاعَةٍ
فَأَنَّى لِلثَّلَبِ أَتْ يُعَدُّ خِصَالَهَا
يُعَانِي بِمَا يَشْكُو أَسْتِحَالَةَ عَدَّهَا
بِهَاءٍ وَأَخْلَاقٍ وَعِظْمٍ وَعِزَّةٍ
وَكَيْفَ وَقَدْ زَادَتْ عَلَيْهِ بِفَضْلِهَا
بِحَدِّ وَحَزْمٍ مَعَ ثَبَاتٍ عَزِيمَةٍ
وَإِنْدَاعِهَا فَاقَتْ بِهِ كُلَّ مُبْدِعٍ
سَلُونِي عَنِ شِعْرِ لَهَا قَدْ خَبَّرْتُهُ
أَصِيلُ قَصِيدِ سَبْكْتُهُ مَتَانَةً
بِشَرْقٍ وَعَرْبٍ لَمْ يُعَدِّ لِبَهَائِهِ
أَكْتُبُهُ نَثْرًا أَمْ أَقْرِضُهُ شِعْرًا
تَكَامَلَ فِيهَا الْفَضْلُ شَفْعًا تَلَا وَثْرًا
يُضِيءُ سَمَانًا يَنْثُرُ الْأَنْجُمَ الرَّهْرَا
فَدُونَ اللَّدِيِّ أَرْجُو وَإِنِّي بِهِ أَذْرَى
وَكَيْفَ وَمَنْ يَسْعَى لِدَايَشْتِكِي الْعُسْرَا
وَمَا إِنْ لَهُ مِنْ أَى وَإِنْ حَاوَلَ الْحَضْرَا
مِنَ الشَّمَمِ الْوُجْدِي تَلْبَسُهُ فُخْرًا
شَمَائِلَ زَائِنَهَا وَتَعْلُو بِهَا قَدْرًا
كَذَلِكَ سِمَاتٍ بِالْمَكَارِمِ قَدْ تَثْرَا
بِهِ نَالَتْ الْقُضُوصَى وَأَذْرَكَتِ الشِّعْرَى
فَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْرَا
وَرُوعَةَ تَصْوِيرِ تَصُوعُ بِهِ الدُّرَا
كَمَا عِنْدَهَا فَأَصْدَعُ بِهِ لَيْسَ ذَا سِرَا

وَإِنِّي لَمُعْتَرٌّ سَعِيدٌ بِشِعْرِهَا
بِتَكْرِيمِ (2) فَاسٍ فِي فِئَارِ حَسْبِنُهُ
بِأَخْرَفِ تَبْرِ دَوْنْتُهُ مُخَلِّدًا
عَلَى ثَقْلِهَا تُبْدَى الْأَرْقُ مِنَ الصَّبَا
فَعُدْرًا إِذَا أَفْضَيْتُ دُوبَ تَكْتُمِ
سَمِيرَةٌ مَا أَحْفَيْتُهُ إِذْ عَلِمْتِهِ
فَمَا هُوَ إِلَّا نَفْحٌ طَيِّبٌ تَجَاوَبِ
أَلَا فَأَقْبَلِيهِ مَعَ نَجْمَةِ مُخْلِصِ
وَلِي قَدَمْتُ «نُورًا» (1) فَجَزْتُ بِهِ الْبَدْرَا
كَتَاجٍ عَلَى هَامِ الْأَدْيَبِ إِذَا يَسْرَا
رُخَامَتُهُ (3) بِكَمَاءٍ تُنْطِقُهُ جَهْرًا
وَتَبْدُو بِفَوْحٍ تَنْشُرُ الْمِسْكَ وَالْعَطْرَا
بِمَا أَنَا لَنْ أَنْسَى وَأَنْتِ بِهِ أُخْرَى
سَيُظْهِرُ مَا عِنْدِي أَوْدُ بِهِ شُكْرَا
بِصَدَقِ حَدِيثِ صَفْوَةٍ يُكْشِفُ السِّرَا
وَمَهْنَةَ التَّكْرِيمِ أَوْلَى بِهَا ذِكْرَا

(1) هو عنوان القصيدة التي كرمت بها الجراري.

(2) بمناسبة تقديم الكتاب التكريمي الذي أعده في ذكرى ميلاده الثمانين، المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية بتنسيق الدكتور عبد الله بنصر العلوي.

(3) حفرت هذه القصيدة في قطعة من الرخام بأحرف ذهبية.

الفهرس

5.....تقديم

أشواق

- 43.....أهذا هو الحب؟
- 45.....طُهر الحب
- 49.....وهم رسم الحبيبة
- 51.....هجران
- 53.....أصحيح مات حبي؟
- 59.....انتظار عفو
- 61.....عيدان
- 63.....غياب وشوق
- 64.....أسائل حياها
- 65.....وسمعت صوتك
- 66.....أحميدتي
- 67.....إني وإياك
- 68.....العيد أقبيل
- 69.....متى يكون وصول الحبيبة

- 70.....إليك هديتي
- 71.....في يوم عيدك
- 72.....وعاتبتي
- 73.....وطوق زانه
- 74.....طال الفراق
- 75.....وَهُمُ الْحَيِّية
- 77.....الحب دائي والدواء
- 78.....لا شيء غير الحب
- 79.....صَبَّاحُ الْخَيْرِ من ورزات
- 81.....مِنْ وَحْيِ الْكَابُونَ
- 82.....عجبت لمن أبدى
- 82.....سود الوجوه وطيبة في المعشر ...
- 83.....من الكابون
- 84.....اعتراف
- 85.....في بوركينافاصو
- 87.....وفي «دكار»
- 89.....قالوا المُقام
- 90.....ليت المسافة تُطوى
- 91.....من الدَّكار رحيلنا
- 92.....وفي نواكشوط بموريتانيا
- 93.....العيد عيدان في مكناس

- 94..... في كل عيد
- 95..... في ذكرى القرآن
- 96..... في الذكرى الخامسة والأربعين لخطبتنا
- 97..... الدهر أعياد معك
- 98..... بدا كمثل شمعة الأماسي
- 99..... وتسالني عن حبتنا
- 100..... بعد وعكة صحية
- 101..... هدية خالية من الشعر:
- 102..... إلى من هواها في الفؤاد
- 103..... شوق حميدة
- 105..... إليك حميدتي
- 106..... هو العيد عندي
- 107..... في عيد ميلاد الحبيبة
- 108..... أنتِ حُبِّي وحياتي (زجل)
- 109..... حُبِّي إليك مع الأيام
- 109..... أرى حُسْنها الباهي
- 110..... لا عبوس في العيد
- 111..... أدام الله عافية الحبيب
- 112..... عام جديد بالمسرة
- 113..... حميدتي والشوق رَوَّع

«مع حَيِّي ورضائي»

- 117.....عُلاً (ابنتي).....
118.....عيد أُلوف.....
120.....إلى ولدي الحبيب « محمد ».....
122.....إلى ابنتي الحبيبة « أُلوف ».....
126.....تهنئة وشوق.....
130.....إلى ابنتي ريم.....
131.....قبلة تهنئة لـ«نور».....

مقتطفات من شعر الإخوانيات

- 136.....جرؤت فخبّرت الكتاب.....
137.....يا سيدي وهتاف الحب.....
139.....وافت هدية سيدي.....
141.....إلى الملك المحبوب.....
142.....ملك القلوب.....
144.....أفاطمُ أهلا.....
146.....تهنئة صديق بمولودة.....
147.....تذكير وتحذير.....
150.....في تأبين الفقيه محمد بن عبد الله الروداني.....
154.....نجم الموسم.....

- 157.....حبي للعتية دائم
- 159.....وفاتي ركب الحبيب
- 161.....مع الشاعر عبد اللطيف خالص
- 163.....أنسأه؟
- 166.....نفشة مكلوم
- 170.....حَيِّ الأَجَبَّة
- 172.....دَعُوا الظُّبَاء
- 176.....بَلْ أَنْتَ أَنْتَ
- 177.....عجرت عن التعبير (في تكريم الشاعرة السيدة سميرة فرجي)

قريباً يصدر إن شاء الله

من ديوان عباس الجراري

الجزء الثاني

مساجلات